الفريدة العزيزة

الشيخ محمّد تقي بن محمّد علي المراغي الغروي
من أعلام القرن الثالث عشر الهجري

تحقيق
الدكتور الشيخ فتح الله نجارزادكان والسيّد محمّدعلي سادات الحسيني
عضو الهيئة العلمية بجامعة طهران ـ باحث في الدراسات الإسلامية بحوزة قم
پرديس قم

مقدّمة التحقيق

نبذة عن المؤلّف

مؤلّف هذه الرسالة «الفريدة العزيزة» هو الشيخ محمّد تقي بن محمّد علي المراغي الغروي من أعلام القرن الثالث عشر، ولد سنة ١٢٢٢ هـ تقريباً حيث ذكر في تأريخ كتابة هذه الرسالة: «إنّي لمّا بلغت من العمر العشرين أحببت لله أن أُحرّر أوراقاً في تركيب الفاتحة وتفسيرها ... » وقد انتهى من كتابتها عام ١٢٤٢ هـ ، وكان حيّاً عام ١٢٥٠ هـ حيث أرّخ فيها تملّكه لكتاب «الصراط المستقيم» للنباطي كما في الكرام البررة ١ / ٢٢٤: ٤٥٥.

وفي «فهرستواره دنا»[1] ذكر خمسة من آثاره:

١ ـ التراكيب المشكلة، بيّن المؤلّف فيه إعراب بعض الجمل الصعبة الواردة في الآيات والأحاديث والأشعار والأسجاع، تمريناً لطلاّب العلم الناشئين، تمّ تأليفه في رمضان عام ١٢٣٩ هـ ، وتوجد نسخة منه بخطّ محمّد بن حسين الخراساني في مكتبة الفيض المهدوي بكرمانشاه عام ١٢٠٣ هـ وهذا التاريخ خطأ; لأنّ المؤلّف ـ كما أسلفنا ـ قد ولد في سنة ١٢٢٢ هـ ، ولعلّ ما كتب في تاريخ تأليف خطأ.

وفي «تراجم الرجال» للإشكوري ٦ / ٦١٦ ما يشبه هذه الترجمة وأنّه توفّي قبل سنة ١٢٤١ هـ .

وفي مجلّة تراثنا العدد التاسع ص ٤٦ نشرت مقالة في التعريف بالرسالة بعنوان تراكيب مشكلة، وفيها أنّه أتمّه عام ١٣٣٩ هـ ، ولذلك فقد عدّ مؤلّفه من علماء القرن ١٤ الهجري وهو غير مؤلّف الفريدة العزيزة، وفي العدد ٦٢ من مجلّة تراثنا، ص ١٤٤ ذكر أيضاً بعنوان التراكيب المشكلة تأليف محمّد تقي بن محمّد علي بن حسين خان المراغي الغروي وأنّه أتمّه عام ١٢٣٩ هـ ; وهو أيضاً شخص آخر.

٢ ـ رسالة القرض والرهن، توجد نسخة منها في مكتبة مدرسة السيّد الگلپايگاني برقم ١٤٩٣٢ وتاريخ كتابتها عام ١٢٥٣ هـ ، انظر فهرس المكتبة ٦ / ٣٢٩٣.

٣ ـ اللؤلؤ والمرجان، في التراجم وبخطّ المؤلّف، توجد نسخة منه في مكتبة ملك بطهران برقم ٢٩٠٦ في ستّين ورقة، انظر فهرس المكتبة ١ / ٤٦٠.

٤ ـ مجمع الصيغ، أو صيغ العقود، رسالة فارسية في الفقه، وتوجد منها نسخة بخطّ المؤلّف في ١١٦ ورقة كما في الرقم ١٤٤٤٥ ـ ٣ من مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بطهران، لاحظ الفهرس ٣٨ / ٥٨٣، وأخرى فيها أيضاً برقم ١٧٦٨٥، وثالثة في مكتبة الإمام الصادق في مدينة

---

١ . هذا الفهرست قد نشر سنة ١٣٨٩ هـ . ش بواسطة مكتبة مجلس الشورى الإسلامي ومن إعداد الشيخ مصطفى الدرايتي.

أردكان من محافظة يزد، برقم ١٣٦ وهي بخطّ حسن پاشا بن لطفعلي بيگ المراغي في مائة ورقة، كتبت سنة ١٢٤٦ هـ ، راجع فهرس المكتبة ١ / ١٢٢.
٤ ـ الفريدة العزيزة، وهي هذه الرسالة التي بين أيديكم في تفسير سورة الحمد، ولدينا منها نسختان: الأولى نسخة مكتبة المجلس برقم ١٤٥٣١، وتوجد مصوّرتها برقم ١١٩٩ في مكتبة مؤسّسة (كتابشناسي شيعه) في قم، والظاهر أنّها نسخة المؤلّف وقد جعلناها أصلا لعملنا، والثانية في مكتبة الميبدي بكرمانشاه برقم ٧٧ كتبها علي بن فتحعلي ومغايراتها يسيرة.

نبذة عن الرسالة

وهذه الرسالة مع صغر حجمها تبيّن مكانة المؤلّف العلمية، وإحاطته كما ينبغي بمختلف العلوم وخاصّة الأدبية منها، واستقصاءه للبحث، مع أسلوب منطقي رصين، ذاكراً الوجوه المختلفة لكلّ كلمة من جهة الصرف والنحو والمعنى مع النقد العلمي لها، واختيار الرأي المناسب منها.
وقد كتبها بأكملها وهو في سنّ العشرين من عمره في شهر رمضان من تلك السنة، معتمداً في تفسيره على الآيات والروايات والشواهد الأدبية ومصادر شتّى، وعند تعرّضه للآية (**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**) والآية (**صراط الذين أنعمت عليهم**)استعرض عشرات الأحاديث الناصّة على فضائل ومكانة أهل البيت وأنّ الصراط صراطهم.
وقال المؤلّف عن نفسه في المقدّمة بعد نبذة يسيرة من حمد الله والصلاة على نبيّه وآله الأطهار أنّه محمّد تقي بن محمّد علي المراغي وأنّه في رمضان في العشرين من عمره من سنة ١٢٤٢ هـ كان في المدرسة الطالبية في تبريز العاصمة، وعندما عطلت الدروس بسبب حلول شهر رمضان اشتغل بتأليف هذه الرسالة في تفسير سورة الحمد وذكر تراكيبها وجوانبها الأدبية، وسمّاها بالفريدة العزيزة.
ثمّ ذكر في المقدّمة بعدها أبحاثاً منها تحت عنوان (تبصرة) استدلّ بالآيات والروايات على أهمّية الصلاة، وحضور القلب فيها للمصلّي ولما يلفظه فيها.
وتحت عنوان (تذكرة) استطرد إلى فضائل وخواصّ سورة الحمد وأسمائها.
وفي عنوان (هداية) تطرّق إلى حكمة تقديم السورة على غيرها، وفاتحيتها للقرآن، ناصّاً على أنّ ذلك بسبب اشتمالها على جميع المفاهيم والمعارف القرآنية، مستنداً في ذلك إلى بعض الروايات.
ثمّ يتطرّق تفصيلا إلى أسماء السورة وذكر وجوهها.
ثمّ يختم كلامه في المقدّمة وفي عنوان (فائدة) بالبحث الشامل عن جزئية البسملة للسورة وأنّها آية مستقلّة مستدلاً بالإجماع والأخبار المستفيضة.
وقد بيّن المؤلّف أنّه يتطرّق إلى إعراب الآيات والأبحاث الصرفية والنحوية واللغوية فيها، فمثلا حينما يتعرّض للفظ الجلالة يحاول الاستيعاب في البحث عنه في نشأته هل هو لفظ عربي أو عبري أو سرياني، مع ذكر الوجوه اللغوية فيه، وهل هو الاسم الأعظم أو لا.
وبعد انتهائه من تفسير لفظ الجلالة يتدرّج إلى تفسير (**الرحمن الرحيم**) وسرّ تقديم الرحمان على الرحيم.

وفي بحثه عن (**الحمد لله**) يتابع نفس الأسلوب ذاكراً الفرق بين الحمد والشكر والمدح، ووجه ذكر الحمد بدلا عن الشكر، وخصوصية (ال) الواردة على الحمد، وهل الجملة خبرية أو إنشائية.
وهكذا في (**ربّ العالمين**) له فيها أبحاث متنوّعة، وفي (**مالك يوم الدين**) زاد فيها البحث عن القراءات، وفي (**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**) ذكر فيها وجه الالتفات من الغيبة إلى الحضور مع الاهتمام بالجوانب الأدبية والمعنوية فيها.
ثمّ نقل حديثاً طويلا من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري في تفسير (**إيّاك نستعين**)، وبما أنّ الحديث يتطرّق إلى ولاية علي والأئمّة الأطهار وفضيلة شيعتهم ومحبّيهم قال المصنّف: «فلنذكر لك قطرة من بحار فضيلتهم، وشأن رتبتهم، وشمّة من مزيّة درجتهم، والأخبار الدالّة على تفضيل أُمّة محمّد (صلى الله عليه وآله) على سائر الأمم، سيّما على كون شيعة علي وأولاده الطاهرين هم الناجون وعلى أفضليّتهم على جميع من سواهم»، ثمّ نقل عدّة أحاديث من مصادر شتّى في هذا المعنى.
وفي تفسير (**صراط الذين أنعمت عليهم**) ذكر أوّلا وحسب أسلوبه العام الأبحاث الأدبية، وأضاف: «الظاهر أنّ المراد من ذلك السبيل ... هم عبارة عن حيدر الكرّار ... والأئمّة الأبرار» ثمّ يستطرد بذكر عشرات الآيات النازلة في شأن أهل البيت (عليهم السلام) ، والدالّة على أنّهم هم أئمّة الهدى وورثة الأنبياء، ثمّ يستخلص النتيجة من هذه الآيات قائلا: «بيَّن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر الخلافة والولاية وعيّنه، وما أجمل الله تعالى في قرآنه فَصَّلَه ... في مواضع متعدّدة وأخبار لا يمكن حصرها ... لكن لا بدّ من ذكر بعضها ...» فذكر روايات عديدة من كتب أهل السنّة، مؤكّداً على المكانة الشامخة لأهل البيت (عليهم السلام) ولزوم متابعتهم.
وتحت عنوان «تتميم» يستعرض باختصار ما قدّمه مبسوطاً في تفسير هذه السورة، فيذكر لحسن الختام نصّ الحديث المنقول عن أمير المؤمنين ورسول الله (صلى الله عليه وآله) في آخر تفسير سورة الحمد من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)والذي يستعرض فيه تفسير سورة الحمد باختصار، وبه يُنهي رسالته «الفريدة العزيزة».
هذا والحمد لله أوّلا وآخراً.

وبه نستعين

الحمد لله الذي أنعم علينا سوابغ النعماء وبوالغ[٢] الآلاء وأكملها بإرسال الأنبياء مونصب الخلفاء وإنزال الكتب من السماء وجعل كتابه العزيز، المنزل على سيّد الأصفياء، شفاء للأدواء وحفظاً من الأسواء وجلاءً للأصداء[٣]، حمداً يتجاوز عن الحدّ والإحصاء ويرتفع عن التناهي والانقضاء، والصّلاة على محمّد أشرف الأنبياء وعترته المعصومين من الأرجاس الأئمّة الأجلّة النقباء، صلاة تملأ أقطار الأرض والسماء.

أمّا بعد، فيقول أقلّ المشتغلين عملا وأنقصهم علماً وسعياً، بل أذلّ الخلائق قدراً وأحوجهم إلى ربّه مغفرة ورحمة «ابن محمّد علي المراغي محمّد تقي الغروي» مولداً وإن شاء الله تعالى مسكناً ومدفناً غفر الله له ولوالديه ولمن وجب حقّه عليه ولجميع المؤمنات والمؤمنين سيّما المعلّمين بالنبي وآله المعصومين: إنّي لما بلغت من العمر إلى العشرين وكنت في العامّ المأتي ذكره في آخر الكتاب في دار السلطنة تبريز في المدرسة المشهورة بـ «الطالبية» لعزم التحصيل ورجاء التوفيق من الربّ الجميل، الذي هو نعم الدليل وليس له كفو ولا عديل، وتعطّل الدروس بإقبال الشهر المبارك الجليل، وكان علم التفسير أرفع العلوم قدراً وأعظمها شرفاً ويستنبط به الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية من القرآن العزيز; أحببت لله أن أحرّر أوراقاً في تركيب الفاتحة وتفسيرها، وأردت في الله أن أبيّن قطرة من بحار ما اشتمل هي عليه من المطالب والمآرب حتّى تتبيّن منها فرائد الأسرار ونفائس دُرر الأبكار وتوضح منها النكت ولطائف الأفكار التي كانت هي مشتملة عليها للأحبّاء الطالبين لها والأخلاّء الراغبين إليها من الصغار والكبار; فبعون الله عزّ وجلّ وحسن توفيقه أمليت هذه الرسالة وحرّرت هذه المقالة وسمّيت هذه الوجيزة بـ «الفريدة العزيزة» سائلا من ربّ العباد أن يهدينا إلى سبيل الرشاد، ويوفّقنا لما يحبّ ويرضى، ويجعل ذلك ذخيرة وعدّة إلى يوم المعاد، ويغفر عثراتنا وزلاّتنا في يوم التناد[٤]، ويثبّت أقدامنا عند مواقف الأشهاد، ويحشرنا في زمرة محمّد المرسل للهداية والإرشاد وآله الذين بيّنوا أحكام المبدء والمعاد، وأطلب منه الإمداد في كلّ الأمور والموادّ بمحمّد وآله الأنجاب الأمجاد. والله المستعان وهو حسبي وعليه التكلان في جميع الأوان.

تبصرة

اعلم أنّ ما ينبغي لحال المصلّي، بل هو الأهمّ له أن يعتبر معاني الصلاة ويلاحظ ما يقرأ فيها من الفاتحة ونحوها ولا تكون قراءته مجرّد تحريك اللسان من غير ملاحظة المعاني المقصودة منها،

---

٢ . بوالغ:

٣ . أصداء:

٤ . إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة غافر: (**وَيا قَوْمِ إِنّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ**).

ومن دون أن يشعر بمقاصد ما يتلفّظ به حتّى يكون حاله كحال الساهي أو المغمى عليه إذا تكلّم بشيء من دون خطور معناه بالبال، والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى حَتّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ**)[٥] وما تضمّنه الخبر الصحيح من أنّك «إذا قمت إلى الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنّما يحسب لك منها ما أقبلت عليه»[٦] والأخبار الدالّة على ذلك متوافرة فقوله تبارك وتعالى (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ**)[٧] ناصّ على أنّ فلاح المصلّين بالخشوع في الصلاة، على أنّ الإمام أمر الأنام إلى تمام الخشوع والسجود والركوع وقوله (عليه السلام): «أتمّوا ركوعَكم وسجودَكم وخشوعَكم»[٨] وأنّه نقل عنه (عليه السلام) أسوء[٩] سرقة من يسرق من الصلاة»[١٠] حتّى ورد عن أئمّة الأنام في هذا المرام: «لا صلاةَ إلاّ بحضور القَلب»[١١].

فللعاقل أن لا يقوم إلى الصلاة متكاسلا ولا متناعساً[١٢] ولا متشاغلا، أفما علمت أنّ الله تبارك وتعالى ذمّ المنافقين بأنّهم يقيمون الصلاة وهم كسالى (**يُراؤُونَ النّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إلاّ قَليلا**)[١٣] بل لا بدّ أن يصلّي خاشعاً له سبحانه لئلاّ يكون العمل كجسد بلا روح، وليستلزم خشوع الجوارح أيضاً؛ فلذلك قال النبي (صلى الله عليه وآله) للعابث في الصلاة «أنّه لو خَشَعَ قَلبُه لخشعت جوارحُه»[١٤] وورد في الأخبار «أنّ عليّاً (عليه السلام) إذا قام إلى الصَّلاة توجّه إلى جناب ذي الجلال حقَّ التوجّه والإقبال وتَغَيَّر لونُه وكان كأنّه ساقَ شجرة لا يتحرّكُ منه إلاّ ما حركّتِ الرّيح منه»[١٥] و«أن

---

٥ . النساء (٤)، الآية ٤٣.

٦ . الكافي، ج ٢، ص ٢٩٩.

٧ . المؤمنون (٢٣)، الآية ١ ـ ٢.

٨ . لم أعثر عليه في مصدر آخر.

٩ . في المصدر كلمة «الناس» بعد «أسوء».

١٠ . وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٧٥، وانظر أيضاً: السنن الكبرى للبيهقي، ج ٢، ص ٣٨٥، وفيه «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» وفي الموطأ، ج ١، ص ١٦٧: «وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته»، ومثله في مسند أحمد، ج ٣، ص ٥٦، والسنن للدارمي، ج ١، ص ٣٠٥، والمستدرك على الصحيحين، ج ١، ص ٢٢٩.

١١ . فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يقبلُ اللهُ صلاةَ عَبد لا يحضرُ قلبُهُ مع بدنه» المحاسن للبرقي، ج ١، ص ٤٠٦. وعن الإمام علي (عليه السلام): « ... وإنّما لِلعَبدِ مِن صلاته ما أقبلَ عليه منها بقَلبه» الخصال للصدوق، ص ٦١٣. وقد وردت في ذلك أحاديث أُخر عن المعصومين، انظر: ميزان الحكمة، ج ٧، ص ٣١١٦، باب «دَور حضور القلب في قبول الصلاة».

١٢ . متناعس من «النعس»: فترتْ حواسُّه فقارب النوم. المفردات للراغب، ص ٨١٤، مادّة «ن. ع. س».

١٣ . النساء (٤)، الآية ١٤٢.

١٤ . الرسائل للشهيد الثاني، ص ١٢٤.

١٥ . الكافي، ج ٣، ص ٣٠٠; الرسائل للشهيد الثاني، ص ١٠٨ فنصّ الخبر هكذا: «كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة تغيّر لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض عرقاً» وفي خبر آخر «كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما إذا قام في الصلاة كأنّه ساق الشجرة لا يتحرّك منه شيء إلاّ ما حرّكه الريح منه».

يكون المصلّي مودِّعاً وخائفاً بأن لا يَعودَ إليها»[١٦] وملاحظاً بمعاني ما يقرأ فيها حتّى يتقبّل الله عزّ وجلّ طاعته منه ويغفر له لما رواه رئيس المحدّثين عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: «مَن صَلّى ركعَتين يَعلم ما يقولُ فيها انصرفَ وليس بينَه وبينَ اللهِ عزَّ وجلَّ ذنبٌ إلاّ غَفَرَ له»[١٧] جعلنا الله بكرمه ومنّه من الخاشعين له والخائفين منه.

١٦ . أشار المؤلف (رحمه الله) إلى رواية قد رواها الشيخ الصدوق في الأمالي، ص ٣٢٩; ٥٨٩ وفي ثواب الأعمال، ص ٣٥ عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إذا صلّيت صلاة فريضة فصلها لوقتها صلاة مودّع يخاف أن لا يعود إليها أبداً...».

١٧ . انظر: ثواب الأعمال للشيخ الصدوق، ص ٤٤ وفيه «ما يقول فيهما» وليس فيه «إلاّ غفر له» وأيضاً: الكافي، ج ٣، ص ٢٦٦.

تذكرة

[فضائل وخواصّ فاتحة الكتاب]

إعلم أنّ الأنسب أن يبدأ على سبيل الاختصار بالأخبار الدالّة على ما احتوت عليه أمّ القرآن [أي فاتحة الكتاب] من الفضائل والخواصّ; فلذا ذكرنا ذلك بالإجمال إذ لو شرعنا في بسطها لضاق علينا الأمر.

فمنها: ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال:

«إنّ الفاتحة وآية الكرسي والآيتين من سورة آل عمران [و] هما: (**شهد الله**)و(**قل اللّهمّ**) معلّقاتُ، بينهنّ وبينَ الله تعالى حجاب، قُلنَ: أتهبطنا إلى الأرض وإلى من يَعصيك، فقالَ الله تعالى: حلفتُ لا يقرأكُنَّ أحدٌ من عبادي في عَقَبِ كلّ صلاة إلاّ جعلتُ الجنّة مَثواه على ما كان منه، ولأسكنَّنَه حضرةَ القدس ولأنظرُنَّ إليه كلَّ يوم سبعينَ نظرَة، ولأقضينَّ له كلَّ يوم سبعينَ حاجةً، أدناها المغفرة، ولأعيذنَّه من كلِّ عَدوٍّ، ولأنصرنَّه عليه»[١٨].

ومنها: ما ذكر في كتاب محمّد بن مسعود العيّاشي عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)لجابر بن عبد الله الأنصاري:

«يا جابرُ، ألا أعلّمك أفضلَ سورة أنزلها الله في كتابه، قال: فقال له جابر: بلى ـ بأبي أنت وأمّي يا رسولَ الله ـ عَلّمنيها، فقالَ: فَعَلّمه الحمد، أمُّ الكتاب قال: ثمّ قال له: يا جابر، ألا أخبرُك عنها قال: بلى ـ بأبي أنت وأمّي ـ فأخبرني، قال: هي شفاءٌ مِن كلّ داء إلاّ السّأم وهو الموت»[١٩].

ومنها: ما ذكره الشيخ أبو الحسين الخبازي المقري في كتابه في القراءة عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله:

«أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي مِنَ الأجر كأنّما قرأ ثُلثي القرآنَ وأعطي من الأجر كأنّما تصدَّق على كلّ مؤمن ومؤمنة»[٢٠].

ومنها: ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

«إذا وضعتَ جنبَك عَلى الفِراش وقرأتَ فاتحة الكتاب و(**قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ**) فقد أمنتَ من كلّ شيء إلاّ الموت»[٢١].

وأيضاً قال (صلى الله عليه وآله):

«من قرأ عندَ مَضجعِه أمَّ القرآن، وآية الكرسي، وقوله تبارك وتعالى: (**وإنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ** ـ إلى قوله ـ **إنَّ رَحْمَةَ اللهِ قريبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**)[٢٢]، وآخر الحشر (**لَوْ أنْزَلْنا هذا**

---

١٨ . بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٦٩، الرقم ١٨; كنز العمّال، ج ٢، ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠; الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٢.

١٩ . كتاب التفسير للعياشي، ج ١، ص ١٠١.

٢٠ . انظر: بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٥٩.

٢١ . كنز العمّال، ج ١٥، ص ٣٣٥.

٢٢ . الأعراف (٧)، الآية ٥٤ ـ ٥٦.

الْقُرْآنَ عَلى جَبَل لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ)[٢٣] إلى آخره، وسورةَ الإخلاص، والمعوّذتين وَكَّلَ اللهُ تعالى مَلَكَين يَحفَظانِه مِن كلّ شيء حتّى يُصبح فإن ماتَ غَفَرَ لَه»[٢٤].

ومنها: ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) «أنّه قال لأبي بن كعب:

يا أبي، هل أنبّئُك بسورة لَمْ تنزلْ في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزَّبُور ولا في القرآن مثلُها؟ فقلتُ: بلى، قال (عليه السلام): فاتحة الكتاب; إنّها السَّبعُ المثاني والقرآنُ العظيم»[٢٥].

ومنها: ما روي عن حذيفة بن اليمان من أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قال:

«إنّ القومَ لَيَبعَثُ اللهُ عليهم العذابَ حَتماً مقضيّاً فيقرأ صَبي من صِبيانِهم في الكتاب (**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ**) فَيَسمَعُه اللهُ تعالى فيرفَع عَنهم ذلك العذابَ أربعينَ سنة»[٢٦].

هداية

[وجه تقديم سورة الحمد على سائر السور]

اعلم الظاهر أنّ الوجه الداعي والسبب المراعى لتقديم هذه السورة على الباقي، هو حصول النسبة الإجمالية والتفصيلية بينها وبين ما عداها لاشتمالها مجملا على ما اشتمل الجميع مفصّلا; إذ كلّ ما كان القرآن محتوياً من التمجيد والتحميد والتسبيح والتهليل والتقديس والتكبير والشكر والثناء، كان مندرجاً في «الْحَمْدُ».

وما كان فيه من ذكر الوحدانية وبيان الربوبية وصفات الجلال ونعوت الكمال، كان مندرجاً في لفظ الجلالة والربّ، وما كان فيه من ذكر الأنبياء والأولياء والسعداء والأشقياء والأرض والسماء وسائر المصنوعات من الأناسي والأجنّة والوحوش والطيور والبهائم، مندرج في «الْعالَمِينَ».

وما كان فيه من الإرزاق والإنعام والإحسان والإكرام على الخاصّ والعامّ وإمهال الأنام، كان مندرجاً في «الرَّحْمنِ».

وما كان فيه من بسط الرحمة على الوَرى والعفو عن المعاصي والخطأ، مندرج في «الرَّحِيمِ»، وما كان فيه من إثبات القدرة والعظمة على الله تبارك وتعالى وتقدّسه عن الأضداد والأنداد، مندرج في الـ «مالِكِ».

وما كان فيه من ذكر القيامة والعذاب والثواب والحساب والميزان والصراط والعقوبات وأحوال الجنّة والدرجات وأهوال النار وشدائد الظلمات وغير ذلك، مندرج في «يَوْمِ الدِّينِ».

وما كان فيه من أحوال العبادات وكيفية الطاعات من الصلاة والصوم والحجّ والزكاة وغيرها، مندرج في «إيّاكَ نَعْبُدُ».

وما فيه من طلب الإعانة والإغاثة والتوكّل والفتح والنصرة، مندرج في «إيّاكَ نَسْتَعِينُ».

---

٢٣ . الحشر (٥٩)، الآية ٢١.

٢٤ . لم أعثر عليه في مصدر آخر.

٢٥ . رواها أحمد في مسنده بالتفصيل، انظر: مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٤١٣; السنن الكبرى للنسائي، ج ٦، ص ٣٥١; صحيح ابن خزيمة، ج ١، ص ٢٥١; جامع البيان، ج ١٤، ص ٧٧. وبتفاوت يسير في تفسير الكشف والبيان للثعلبي، ج ٤، ص ٣٤٢.

٢٦ . الكشف والبيان، ج ١، ص ٩٠.

وما فيه من بيان الهداية والإرشاد والتوفيق والتفويض والاعتماد والدعاء والسؤال، مندرج في «اهْدِنَا».
وما فيه من بيان الحلال والحرام والشرائع والأحكام من الأوامر والنواهي للأنام، مندرج في «الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ».
وما فيه من أحوال الأولياء والسعداء والسبب على كونهم من الناجين وفي أعلى درجات العلِّيين، مندرج في «صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ».
وما فيه من بيان أحوال أمم السابقين وقصصهم من إصرارهم على المناهي، وتوجّههم بالملاهي[٢٧]، وتكفير النعماء، وقتل الأنبياء، وإنزال الغضب والعذاب عليهم من السماء، مندرج في «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ».
وما كان فيه من أحوال بقية الجبابرة والأرامنة وسائر المشركين مندرج في «وَلاَ الضَّآلِّينَ».
فلمّا كانت الفاتحة محتوية ما في القرآن على سبيل الإجمال وكان الأولى تقديم المجمل على المفصّل; فلذا قدّمت أمام الجميع وهكذا الوجه في تقديم البسملة لاشتمالها إجمالا على ما في الفاتحة جميعاً، وهذا هو السرّ في ذكر الباء قبل جميع الأشياء لكونها حاوية لجميع ما في البسملة كما ورد في الأخبار أنّ سيّد الأخيار عليّاً (عليه السلام)قال: «إنّ جميعَ أسرارِ اللهِ ومغيَّباتِه في الكتبِ السّماويّة، وجميعَ ما في الكتب السّماويّة في القرآن، وجميعَ ما في القرآن في قلب القرآن وهو السِّورة المباركة يس، وجميعَ ما في القلب في فاتحة الكتاب، وجميع ما في الفاتحة في بسم الله، وجميع ما في بسم الله في باء بسم الله، وجميع ما في [باء] بسم الله في النقطة تحت الباء وأنا النقطة»[٢٨].

---

٢٧ . الملاهي بمعنى آلات اللهو واللعب.

٢٨ . إحقاق الحق وإزهاق الباطل، للقاضي نور الله التستري، ج ٧، ص ٦٠٨، وفيه عن ينابيع المودّة (ج ١، ص ٢١٣) عن الدرّ المنظّم: «اعلم أنّ جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن وجميع ما في القرآن في الفاتحة وجميع ما في الفاتحة في البسملة وجميع ما في البسملة في باء البسملة وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء، قال الإمام علي (كرّم الله وجهه): أنا النقطة التي تحت الباء.

تكميل للمرام السابق

[أسماء سورة الحمد ومعانيها]

اعلم أنّ أسماء هذه السورة عشرة: «فاتحة الكتاب» و«أمّ القرآن» و«السبع المثاني» و«الحمد» و«أساس القرآن» و«الشافية» و«الشفاء» و«الصلاة» و«الكنز» و«الوافية» بالفاء.

أمّا تسميتها «الفاتحة»; فلكون افتتاح الكتاب والابتداء به إنّما هو بها.

وأمّا «أمّ القرآن»; لأنّه لمّا انحصر الابتداء به بذلك فكأنّها أصله.

وأمّا «السبع المثاني» أمّا السبع; إذ هي سبع آيات بالاتّفاق، وأمّا المثاني; فلأنّها نزلت مرّتين لتعظيم شأنها وتبجيل[٢٩]رتبتها مرّة في المكّة ومرّة في المدينة، أو لأنّ كلماتها مثنىً مثنىً الرحمن الرحمن، الرحيم الرحيم، إيّاك إيّاك، صراط صراط، عليهم عليهم، أو لأنّ الثناء كان مثنىً فيها وهو الرحمن الرحيم، أو لأنّها منقسمة بين الربّ والمربوبين، فإنّ نصفها ثناء له ونصفها دعاء لهم، أو لأنّها وجبت بالاستقلال في كلّ صلاة مرّتين في كلّ ركعة مرّة واحدة، أو لأنّه تبارك وتعالى استثناها لأمّة محمّد (صلى الله عليه وآله) وجعلها ذخيرة لهم دون الأمم السابقة والقرون السالفة.

وأمّا سورة «الحمد»; فلكونها مبدوءة بحمد الله عزّ وجلّ.

وأمّا «أساس القرآن»; فلما بيّناه في الأمّ.

وأمّا «الشافية والشفاء»; لقول النبي (صلى الله عليه وآله): «هي شفاء لكلّ داء أو شفاء من كلّ سمّ»[٣٠].

وأمّا سورة الصلاة; فلقوله (عليه السلام): «لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب»[٣١].

وأمّا سورة «الكنز» فلأنّها كنز معاني ما في القرآن وحقيقته.

وأمّا «وافية»; فلكون مبانيها وافية لجميع معاني القرآن على الإجمال.

فائدة

[في جزئية البسملة]

---

٢٩ . التبجيل هو التعظيم.

٣٠ . الكشف والبيان، ج ١، ص ١٢٨ ـ ١٢٩; مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١٧٦; تفسير القرطبي، ج ١، ص ١١٢; تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ١، ص ١٨.

٣١ . الخلاف للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨; عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي، ج ١، ص ١٩٦; ج ٢، ص ٢١٨; ج ٣، ص ٨٢; سنن الدارمي، ج ١، ص ٢٨٣، باب لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب; سنن الترمذي، ج ١، ص ١٥٦، باب ما جاء أنّه لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب; السنن الكبرى للبيهقي، ج ٢، ص ٦٣; المصنّف، ابن أبي شيبة، ج ١، ص ٣٩٦، ح ١ ـ ٤.

اختلف المخالف والمؤالف في أنّ التسمية[٣٢] هل هي جزء من السورة، أي: أنّها تعدّ آية منها أم لا؟ فذهب الأوّل إلى الثاني والثاني إلى الأوّل، والحقّ هو الأوّل; للأخبار التي أوردها أهل الخلاف في هذا الباب.

منها: ما رواه أبو هريرة من أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله)قال:

«فاتحة الكتاب سبع آيات أوّلهنّ بسم الله الرحمن الرحيم»[٣٣] مضافاً إلى إجماعنا وأخبارنا، فإنّها مستفيضة.

منها: ما روي أنّه سئل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن بسم الله الرحمن الرحيم أهي من فاتحة الكتاب أم لا؟ فقال:

«نعم كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرأها ويعدّها آية منها ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني فُضِّلتْ ببسم الله الرحمن الرحيم وهي الآية السابعة»[٣٤].

ومنها: ما يدلّ على ذلك وعلى مزيّة شأن الفاتحة ورتبتها وهو أنّه روى [الصدوق بسنده] عن الحسن بن علي (عليهما السلام) قال: قال أمير المومنين (عليهما السلام):

«إنّ بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وهي سبع آيات تمامها (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنّ الله عزّ وجلّ قال لي: يا محمّد، (**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**)[٣٥] فأفرد الامتنان بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ممّا في كنوز العرش، وإنّ الله تعالى خصّ بها محمّداً وشرّفه بها ولم يشرك معه فيها أحداً من الأنبياء ما خلا سليمان، فإنّه أعطاه منها البسملة ألا ترى أنّه يحكي عن بلقيس [عن سليمان] حين قالت: (**إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**)[٣٦]»[٣٧]، انتهى.

فالحاصل: أنّ البسملة آية من الفاتحة وهي سبع آيات بإجماع الأمّة، وقوله عزّ وجلّ: (**صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)إلى آخر السورة آية واحدة، فمن نذر قراءة آية منها تبرء ذمّته بقراءة البسملة ولا تبرء بقراءة (**صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**)عندنا.

وفي فضيلة التسمية والثواب في تلاوتها أخبار كثيرة، فمنها: ما رواه عبد الله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

---

٣٢ . هكذا في النسختين، والأصحّ البسملة.

٣٣ . الكشف والبيان، ج ١، ص ٨٩; مفاتيح الغيب (تفسير الكبير) للفخر الرازي، ج ١، ص ٧٣.

٣٤ . تفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٥٩ وعنه في بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٦٠.

٣٥ . الحجر (١٥)، الآية ٨٧.

٣٦ . النمل (٢٧)، الآية ٢٩ ـ ٣٠.

٣٧ . الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٢٤٠، المجلس ٣٣، ح ٣; عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٧٠.

«من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له بكلّ حرف أربعة آلاف حَسَنَة، ومَحى عنه أربعة آلاف سيّئة، ورفع له أربعة آلاف درجة»[٣٨].

ومنها: ما وري عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

«من قال بسم الله الرحمن الرحيم بالإخلاص والاحترام والتعظيم بنى الله له في الجنّة سبعين ألفَ قَصر مِن ياقوتة حمراء، وفي كلّ قصر سبعين ألف بيت من لؤلؤ[ة] بيضاء، وفي كلّ بيت سبعين ألف سرير من زبرجد[ة] خضراء، وفوق كلّ سرير سبعين ألف فراش من سُنْدُس وإستَبْرق وعليه زوجة من الحور العين مكتوب على خَدِّها الأيمن محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى خَدِّها الأيسَر عليّ (عليه السلام) ولي الله وعلى جَبينها الحسن (عليه السلام) وعلى ذِقْنِها الحسين (عليه السلام) وعلى شَفَتيها بسم الله الرحمن الرحيم»[٣٩].

ومنها: ما نقل عن ابن عبّاس أنّه قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من قال بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم، صرف الله تعالى عنه سبعين باباً من البلاء أوّلُها الهَمّ والغَمّ»[٤٠].

ومنها: ما رأيته في بعض الكتب وقد كانت منقولة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

«من كانت له حاجة مهمّة أو أصابه غمّ أو همّ أو شدّة أو محنّة فليكتب في قِرطاس بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الضعيف الذليل إلى المولى الجليل ربّ إنّي مسّني الضُرُّ وأنت أرحم الراحمين ثمّ يُلقي القِرطاس في الماء الجاري ويقول: اللّهمّ بحقّ محمّد وآل محمّد (صلى الله عليه وآله) اكشف عنّي غمّي وفَرِّج عَنّي هَمّي يا أكرمَ الأكرمين، فإنّ حاجته تَقْضي إن شاءَ الله تعالى»[٤١].

ومنها: ما ورد من أنّ عبد الله بن يحيى قال: سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن تفسيرها، فقال:

«إنّ العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملا ويقول بسم الله الرحمن الرحيم، أي: بهذا الاسم أعملُ هذا العمل، فكلُّ أمر يعمله يَبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم، فإنَّه يُبارَك له فيه»[٤٢].

ومنها: ما روي عن أمير المومنين (عليه السلام) أنّه قال:

---

٣٨ . الدرّ المنثور، ج ١، ص ١٠.

٣٩ . مدينة المعاجز للبحراني، ج ٢، ص ٣٦٦.

٤٠ . المقنع للصدوق، ص ٥٤٢ مع تفاوت يسير. والمحاسن للبرقي، ج ١، ص ٤١; الكافي، ج ٨، ص ١٠٩. وفي أمالي الطوسي، ص ٤١٥ عن أبي عبد الله (عليه السلام).

٤١ . قريب منه في المصباح للكفعمي، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣، وفي الأمان من أخطار الأسفار للسيّد ابن طاوس، ص ١٢١ عن أبي عبد الله (عليه السلام).

٤٢ . تفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٢٥ وعنه البرهان في تفسير القرآن للبحراني، ج ١، ص ١٠٥ و١٠٦.

«حدّثني رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الله تبارك وتعالى أنّه قال: كلُّ أمر ذي بال لا يُذكَر باسم الله فيه فهو أبتر»[٤٣].

فَابتداؤُنا بالمقصود مستعيناً بالله المعبود.

(بسم)

اعلم أنّ الوجه والعلّة في تحريك «الباء» التي في بسم الله مع أنّ حقَّها السكونُ; لأنّها حرف وهي مبنيّة بالأصل، والأغلب في البناء السكون، إنّما هو لتعذّر الابتداء به، وأمّا كسرها مع أنّ حقّ الحروف المفردة الفتح; لكونها خفيفة كـ «سين» الاستقبال و«واو» العطف و«فائه» ونحو ذلك، فإنّما هو للاختصاص بلزوم كونها حرفاً وجارّة، وقيل: لأنّ [الكسر] يشابه حركتها مع حركة معمولها وهي الجرّ.

ويرد عليه أنّ «الكاف» مع أنّها جارّة كانت مفتوحة فلِمَ لَم تكن مكسورة حتّى يماثل حركتها مع حركة مدخولها.

وأُجيب عنه بأنّ «الباء» كانت مكسورة لحصول الامتياز بين الجارّين أحدهما قد يكون اسماً كـ «الكاف» والآخر ما كانت حرفاً دائماً ولا تكون اسماً قطّ كـ «الباء» كما أنّ «لام» الأمر و«لامَ» الإضافة الداخلة على المُظهر كانت مكسورة للفصل بينهما وبين «لام التأكيد».

فإن قيل: لأيّ وجه لم ينعكس الأمر؟ قلت: إنّ «الكاف» لها معنيان معنى الاسمية كالكاف في قولنا: «أكرمك وبك» ومعنى الحرفية كالكاف في «ذلك» فالذي يناسب لها أن تتحرّك بأخفّ الحركات.

وقيل: الجواب عن ذلك [بأنّ حرف «الباء» مكسورة] أنّ إيثار الكسر على باقي الحركات للفرق بين «الباء» العارضية والأصلية، نحو: برّ وبحر. ومنهم من قرأ بالفتح وهذه اللغة قليلة نادرة.

فإن قيل: لأيّ شيء عملت هذه الحروف الجرّ دون الرفع والنصب؟ قلت: إنّها لمّا كانت من خواصّ الأسماء ولوازمها، من جهة أنّ مدخولها مخبر عنه في المعنى ولا يخبر إلاّ عن الأسماء، فلا يكون مدخولها إلاّ الأسماء وبيان ذلك: أنّ قولك: «مررتُ بزيد» معناه أنّ زيداً ممرور به، فيلزم أن يعمل ما يكون مخصوصاً بها وهو الجرّ. ولا بدّ أن يكون لكلّ جارّ ومجرور وشبهه متعلّقاً; لأنّها موضوعة لجذب معنى وجلبه إلى مدخولها، فوجب أن يوجد هناك حدث حتّى تجذبه وتجرّه إلى مجرورها وهو محذوف هنا، ومنهم من قال: إنّه مذكور وهو الحمد، وعلى هذا القول يرتفع النزاع المعلوم ويندفع الإيراد المشهور ولا يحتاج إلى تكلّف آخر وهو عبارة عن حصول التعارض بين الحديثين الواردين في باب الابتداء بالبَسمَلة والحَمْدَ لَه، فيكون كلاهما مبدوءاً به أمّا البَسملة فظاهر وأمّا التحميد فلابتدائه رتبةً ومعنىً; لتقدّم العامل على المعمول حقيقةً; نعم يبقى شيء آخر وهو

---

٤٣ . تفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٢٥.

إعمال المصدر المحلّى باللام [وهو «الحمد» في المقام] في المعمول المقدّم وجواز هذا في الظروف بيّن لما سيقرّر كما في نحو قوله عزّ وجلّ: (**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ**)[٤٤] والظاهر أنّ حذف المتعلّق هنا مجمع عليه لكنّهم اختلفوا في أنّه ما هو؟ فالبصريون ذهبوا إلى أنّ المقدّر هو الاسم والكوفيون إلى أنّه الفعل، ويلزم على الأوّل كون المصدر المحذوف عاملا، وهو غير سائغ; لانحطاط رتبته عن الفعل، وأجيب عنه بأنّ عمله في الظروف وما يضارعها[٤٥] لما فيه من رائحة الفعل لا من جهة أنّه محمول عليه; فلذا جوّزوا تقديمها عليه كما قيل في إعمال الحمد في البسملة وذلك كثير شائع.

واختلفوا أيضاً في أنّه هل يجب أن يكون مؤخّراً أم يجوز تقديمه وتأخيره كلاهما والأخير هو المعتمد عند النحاة والأوّل [وهو وجوب التأخير] هو المعتبر عند أئمّة التفسير وعلماء المعاني والبيان; ضرورة أنّ تقديم المعمول يكون أدلّ على الاختصاص كما في قوله عزّ وجلّ: (**بسم الله مجريها**)وقوله تبارك وتعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**)[٤٦] مع أنّه أدخل في التعظيم أيضاً، فإنّ ذات الله تعالى أهمّ واسمه مقدّم على القراءة، وكيف لا يكون كذلك مع أنّ الفعل لا يتمّ إلاّ بعد كونه مبدوءاً باسمه عزّ وجلّ للرواية السابقة[٤٧] فإن قيل: لِمَ لم يكن المتعلّق مؤخّراً في قوله عزّ وجلّ: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**)[٤٨]؟ قلت: إنّه لمّا كانت هذه السورة أوّل ما أنزل الله تعالى[٤٩] وكان الأمر بالقراءة أهمّ، فلذا كان التقديم أولى. وأمّا تعيين العامل وتشخيصه فإنّما يتعيّن بحسب ما يقتضيه المقام فيقدّر في مقام الابتداء، أبتَدأُ، والقراءة أقرَأ والعمل، أعمَلُ والكتابة، أكتُب ونحو ذلك ويسمّى الجارّ والمجرور ظرفاً على سبيل المجاز إذ الحقيقي منحصر في [الظرف] المكاني والزماني وهو لا من قبيل الأوّل ولا الأخير ولمّا انجَرَّ الكلام إلى هذا المرام وهو كونه ظرفاً لزم أن نبيّن الفرق الحاصل بين [الظرف] المستقرّ واللّغو حتّى يفهم ضمناً أنّ ما نحن فيه من أيّ الظرفين؟ فالظرف المستقرّ ـ بالفتح ـ لا يتحقّق إلاّ بعد اجتماع أمرين: **الأوّل:** أن يكون متعلّقه مقدَّراً و**الثاني:** أن يكون من أفعال العامّة كالحصول والكون وغير ذلك ولو فقد أحدهما كان الظرف لغواً، وهذا الفرق هو المشهور بين الجمهور، ومنهم من قال: إنّ الفرق بينهما إنّما هو في حذف المتعلّق وذِكْره وهو مذهب السيّد،

---

٤٤ . الصافات (٣٧)، الآية ١٠٢. والشاهد إعمال المصدر المحلّى باللام وهو «السَّعي» في المعمول المقدّم وهو «معه».

٤٥ . أي: يشابهها.

٤٦ . الفاتحة (١)، الآية ٥.

٤٧ . وهي رواية رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال: «كلّ أمر ذي بال لا يُذكر باسم اللهِ فيه فهو أبتر». تفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٢٥.

٤٨ . العلق (٩٦)، الآية ١.

٤٩ . انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٧٨٠. قال الطبرسي: «أكثر المفسّرين على أنّ هذه السورة أوّل ما نزل من القرآن وأوّل يوم نزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ...».

ومنهم من قال: إنّ الظرف في «باء» الملابسة التي يقال لها المصاحبة ظرف مستقرّ وفي «باء» الاستعانة لغو، وجوَّز صاحب [كتاب] اللباب[٥٠] والرضي اللُّغويّة في الأوّل أيضاً، وتسمية ذلك الظرف بالمستقرّ لأجل استقرار العامل فيه وانفهامه منه بلا قرينة. والأصل «مستقرّ فيه»، حذف «فيه» تخفيفاً أو لتعلّقه بالاستقرار العامّ بخلاف اللَّغو; إذ لا يفهم العامل منه إلاّ بالقرينة الخارجية فكأنّه ملغاة، فعلى القولين أنّ الأوّل ممّا له محلّ من الإعراب فيقع خبراً وحالا وصفة والثاني لا محلّ له منه; فلذا قيل: إنّ هذا الجارّ والمجرور معاً أو الأخير خاصّةً على اختلاف القولين، له محلّ من الإعراب; أمّا النصب على أنّه مفعول للمقدّر، أو الرفع على كونه خبراً للمبتدأ المحذوف وما روي عن الكسائي من كون «الباء» [في البسملة] زائدة والاسم مرفوع المحلّ على أنّه خبر لمبتدأ محذوف وكان التقدير أوّل ما أبتدأ به اسم الله تعالى، فهو أوهن من بيت العنكبوت; إذ لم توجد زيادة «الباء» في خبر المبتدأ أصلا. و«الباء» إمّا للاستعانة كما في نحو: «كتبت بالقلم» أو المصاحبة كما في نحو: «دخلت بثياب السفر» فالمعنى أنّ باستعانة اسم الله عزّ وجلّ أبتدأ، أو بمصاحبة اسم الله أقرأ والأولى [وهي الاستعانة] هو الأولى; لأنّها مُشعرة بأنّ ذكر ذلك الاسم عند ابتداء الأشياء، ذريعة إلى وقوعها على أكمل الوجه وأتمّها حتّى كأنّها لا يتأتّى بدون ذكره والثانية عارية عن ذلك الإشعار. والهمزة الثابتة في الاسم محذوفة من اللفظ والخطّ معاً أمّا الوجه في عدم التلفّظ فظاهر; لأنّها همزة وصل كابن وابنت وامرء واثنان وغيرها، وأمّا في عدم الكتابة لكثرة الاستعمال.

فإن قيل: ما الوجه في عدم حذف «همزة» قوله تعالى: (**اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**)[٥١] مع أنّ هذه العلّة موجودة فيه أيضاً؟ قلت: إنّ الكثرة الحاصلة فيها في تلك الآية ليست كالكثرة الحاصلة في التَّسمية.

وإنّما قال: «بِسْمِ اللهِ» ولم يقل: بالله; لأنّ الاستعانة إنّما هي بذكر اسمه. وإنّما طُوِّلتْ «الباء» في الكتابة; لأنّ طول الهمزة المحذوفة أعطيت لها عوضاً عنها. وقيل: للتفخيم في أوّل الكلام.

واختلفوا في اشتقاق «الاسم» فالبصريون قالوا: بأنّه مشتقّ من السموّ وهو العلوّ والرّفعة; لأنّه يرفع الإبهام عن المسمّى وأصله سُمْو بضمّ «الفاء» [أي: فاء الفعل وهي السين] وكسر «اللام» فحذفت عَجزه لكثرة الاستعمال ثمّ نقلت كسرة «اللام» إلى «العين» [أي: عين الفعل وهي الميم] وسكونها [أي: سكون العين] إلى «الفاء» فصار أوّلها ساكناً فأُدخلت عليه همزة الوصل; لتعذّر النطق بالساكن في أوّل المرتبة، ولأنّ من ديدَن[٥٢] العلماء أنّهم يبتدؤن بالمتحرّك ويقفون على الساكن، ويجمع على أسماء وأسامي، ويأتي تصغيره على وزن سميّ، ويجيء الاسم منه على وزن هدى، نحو سمى على لغة، وفيه ستّة لغات كما ذكر في مقامه.

---

٥٠ . وهو كتاب اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقا العكبري (م / ٦١٦ هـ) ولم أعثر على ما نقل المؤلف عنه.

٥١ . العلق (٩٦)، الآية ١.

٥٢ . في نسخة «ب»: ديدان وهي العادة.

والكوفيون زعموا أنّه مشتقّ من السِّمة وهي العلامة; لأنّه علامة لإشعار المسمّى وأصله «وَسْم» حذف أوّله وعوّض عنه «همزة الوصل» لثقل إعلاله، والحقّ هو ما ذهب إليه البصريون; لأنّه لو كان مشتقّاً من الوسم للزم أن لا يصغّر على وزن سميّ بل على وزن وسيم; إذ التصغير يردّ الأشياء إلى أُصولها، فعدم الإتيان بهذا الطريق دالّ على بطلان مذهب الكوفيين.

(الله)

اعلم أنّ الأبحاث والتحقيقات المتعلّقة بهذا اللفظ كثيرة وقد أشرنا إلى بعضها إجمالا في لطائف:

اللطيفة الأولى ـ في كيفية كتابة هذا اللفظ: يجب إبقاء «لام التعريف» في الخطّ على ما هو الأصل كما في باقي الأسماء وكذا في التلفّظ، فحذف ألفه لفظاً لحن وتفسد الصلاة بذلك قطعاً، بل لا ينعقد به صريح اليمين شرعاً، وأمّا الوجه في حذف «الألف» قبل «الهاء» إمّا لأنّ أهل العرف يعدّون اجتماع الحروف المتماثلة في الصورة عند الكتابة كريهاً، أو لأنّه لو لم يحذف منه ذلك لشابه «اللات» في الكتابة. ومن اللطايف التي ذكرها القوم في تأليفاتهم في حروف هذا الاسم هي، أنّه بعد التصرّف فيه يبقى أربعة أحرف في التلفّظ «ألف» و«لامان» و«هاء» وأنّك لو أسقطت «الهمزة» بقي صورته (**للهِ جُنُودُ السَّماواتِ والأَرْضِ**)[٥٣] وإن تركت من الباقي «اللام» الأولى بقي البقية على صورة (**لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ**)[٥٤] ولو سقطت «اللام» الباقية بقي «الهاء» مضمومة على صورة (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**)[٥٥] والواو الزائدة حصلت من إشباع الضمّة بدليل سقوطها في التثنية والجمع هُما، هُم.

أيّها العاقل الطالب والكامل الراغب أُنظر إلى لطافة هذا الاسم وتقدّسه عن النقصان وتأمّل في صمدية مسمّاه واتّصافه بالصفات العظمى والأسماء الحسنى والأفعال العليا من كمال القدرة والعظمة والجلال وتنزّهه عمّا يوهمه العميا من النقصان والزوال وتفكّر في ترفّعه عن التعطيل والقصور في إفاضة الجود والرحمة على الورى[٥٦]. ألا ترى إلى ما نقل «أنّ فرعون قبل أن يدّعي الإلهية أمر أن يكتب بسم الله على بابه الخارج فلمّا ادّعى الإلهية وأرسل الله إليه موسى ودعاه فلم يَرَ به أثر الرشد وقال [موسى (عليه السلام)]: إلهي كم أدعوه ولا أرى به خيراً فقال الله تعالى وتقدّس: لعلّك تريد إهلاكه أنت تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما كتبه على بابه»[٥٧]، انتهى. فالسِّرّ في ذلك هو أنّ من كتب هذه الكلمة على بابه الخارج كان آمناً من العذاب في ذلك البيت وإن

---

٥٣ . الفتح (٤٨)، الآية ٧.

٥٤ . البقرة (٢)، الآية ١١٦; النحل (١٦)، الآية ٥٢; الحشر (٥٩)، الآية ٢٤.

٥٥ . الإخلاص (١١٢)، الآية ١.

٥٦ . الوَرى: الخلق.

٥٧ . مفاتيح الغيب للرازي، ج ١، ص ١٦٨.

كان كافراً فكيف يكون معدّباً من كتب ذلك على سويداء قلبه وكان ذلك كثيرَ ذكره من أوّل عمره إلى آخره مع إخراج غيره تعالى من القلب بالتوجّه إلى ذلك الجناب.

اللطيفة الثانية ـ في أنّه من أىّ لغة; عربي أم عبري أم سَرياني، وفي أنّه اسم أو صفة، جامد أو مشتقّ; اختلفت أقوال الفحول وآراء أرباب العقول، واضطربت أنظار علماء النقول وأفكار أصحاب الأبنية والأُصول في لفظ الجلالة كما تحيّرت أذهان العقلاء في مدلولها واضمحلّت أفكارهم في مفهومها فقيل: إنّه عبري وقيل: إنّه سرياني أصله «لاهاً» فعرّب بحذف «الألف» الأخيرة وإدخال «الألف واللام» عليه ثمّ أُدغم اللامين بالآخر فصار «الله» ومنهم من قال: إنّه عربي أصله «إله» حذفت الهمزة وعوّض عنها «الألف واللام» فصار ذلك ومن ثَمّ لم يجز إسقاطها حال النداء.

و«الإله» من أسماء الأجناس كالرجل والفرس فيصدق على كلّ معبود حقّاً كان أم باطلا ثمّ غلّب على المعبود بحقّ كما غلّب النجم على الثريا والبيت على الكعبة والمدينة على شهر [مدينة] رسول الله (صلى الله عليه وآله) والسَّنَةُ على عام القحط. وأمّا «الله» بعد حذف الهمزة فمختصّ بالمعبود الحقّ ولا يصلح أصلا أن يطلق على غيره ويوصف به سواه بل يصدق على الذات المخصوصة وتوصف به خاصّة.

واختلفوا أيضاً في أنّه اسم أو صفة، فالمنصور عند الجمهور من النحاة كالخليل وأتباعه بل المشهور عند أكثر الأُصوليين والفقهاء هو أنّه جامد وعلم للذات المستجمعة والمقدّسة لوجوه:

منها: أنّه لو كان مشتقّاً لكان معناه كلّياً لا يمتنع صدقه على كثيرين فلا يكون قولنا لا إله إلاّ الله مفيداً للوحدانية بل يستلزم إمّا أن يكون الاستثناء كذباً أو عن نفسه ولا موجباً للتوحيد ولا يدخل الكافر به في الإسلام، كما لا يدخل فيه بالإجماع لو قال: أشهد أن لا إله إلاّ الرحيم وإلاّ الملك.

وأورد عليه: أنّه لِمَ لا يجوز أن يكون أصله وصفاً ثمّ نقل إلى العلمية.

ومنها: أنّ العقل يقتضي أن تذكر الذات أوّلا ثمّ الصفات نحو زيدٌ العالم ولذا يقال: الله الرحمن الرحيم ولا يقال بالعكس فإتيان الوصف للفظ الجلالة وأنّه لا يوصف به، دالّ على أنّه عَلَمٌ.

واعترض عليه: بأنّ هذا لا يدلّ على المطلوب لعدم استلزامه العَلَمية; إذ يمكن أن يكون اسم جنس أو صفة تقوم مقام العلم في كثير من الأحكام.

ومنها: أنّه سبحانه يُوصف بصفات مخصوصة عديدة فلا بدّ أن يكون له اسم خاصّ تجري عليه تلك الصفات.

وأُورد عليه الاعتراض السابق.

وأمّا القائلون بالاشتقاق فمستندهم أُمور: **أحدها:** قوله عزّ وجل: (**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمواتِ وَفِي الأرْضِ**)[٥٨]; إذ لو كان عَلَماً لم تُفِد الآية معنىً صحيحاً; لأنّ المعنى الجامد لا يصلح للتقييد

---

٥٨ . الأنعام (٦)، الآية ٣.

بالظروف وغيرها بخلاف المعنى الوصفي; فإنّه لا يقال: زيد في البلد وعمرو في المجلس وإنّما يقال: هو العالم في البلد والواعظ في المجلس.

والجواب أنّ الاسم يمكن أن يلاحظ معه معنى الذي اشتهر مسمّاه به فيصحّ التقيّد بالظروف كما في قمر وأسد على أنّهما متضمّنان معناً آخر وهو المنير والمقبل، وأمّا لفظ الجلالة المذكور في الآية فإنّه لوحظ معنى المعبود بالحقّ لكونه لازماً لمسمّاه وهو مشتهر به.

والثاني: أنّه لمّا كانت الإشارة في حقّه تعالى ممتنعة كان العلم أيضاً ممتنعاً.

والثالث: أنّ وضع الأعلام إنّما هو للتميّز و هنا لا مشاركة فلا حاجة إلى ذلك.

والجواب عن الوجهين واضح; لأنّ وضع الأعلام لتعيّن الذات فلا حاجة فيه إلى الإشارة الحسّية، ولا يتوقّف وضعه على حصول الشركة.

والرابع: أنّ ذاته تعالى من حيث هي غير معقولة للبشر فلا يمكن أن يدلّ عليها بلفظ.

وأُورد عليه: ما ذكره بعض المحقّقين من أنّ أقصى ما يلزم منه عدم تمكّن البشر من وضع الاسم له جلّ وعلا ولذلك يثبت مدّعاكم، وقد صحّ أنّ أسماءه ـ جلّ شأنه ـ توقيفية كالأحكام فلِمَ لا يجوز أن يضع هو اسماً لذاته المستجمعة لجميع الصفات والكمالات والمقدّسة عن جميع العيوبات والمنزّهة عمّا يلائم المخلوقات، مع أنّ القول بعدم تمكّن البشر من وضع العَلَم محلّ كلام; لأنّه يكفي في وضع الاسم تعقّل المسمّى على وجه يمتاز عمّا عداه وهو هاهنا موجود فلأىّ شيء لا يمكن أن يجعل له عَلَماً؟

قال بعض الأفاضل: إنّ النزاع بين الفريقين يشبه أن يكون نزاعاً لفظياً غير مؤدّي إلى طائل; إذ القائلون بالاشتقاق متّفقون على أنّ الإله اسم جنس يطلق على كلّ معبود ثمّ غلب على المعبود بالحقّ كما مرّ آنفاً وأمّا الله بعد التصرّف فيه فمختصّ بالمعبود الحقّ لم يطلق على ما عداه ولم يفهم منه سواه وهذه خواصّ العِلم.

واختلف هؤلاء الفرقة في المشتقّ منه فمنهم: من قال: إنّ أصله أَلِهَ إلهةً بمعنى العبادة; لأنّ الذات الواجب الوجود هو المعبود المستجمع لجميع صفات الإلهية والمقدّس عن جميع النقائص الإمكانية التي لا تنبغي بها للذات الأحدية، وهذا هو المشهور عند الجمهور.

وقيل: إنّه مشتقّ من ألِهتُ إلى فلان، أي: سكنتُ. وهذا المعنى لا يتحقّق أيضاً إلاّ إلى ذلك الجناب إذ النفوس لا تسكن إلاّ إليه (**ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبَ**)[٥٩]; لأنّه غاية الحركات وهو موضع الحاجات وإليه تنتهي الرغبات.

وقيل: من «الوَلَه» بمعنى ذهاب العقل; لأنّ هذا ثابت للذوات حقيقةً بالنسبة إلى جاعل النور والظلمات وبديع الأرض والسماوات، وكان أصله «ولاه» فقلبت «الواو» همزة لاستثقال الكسرة عليها كما في أعاد وأشاح.

---

٥٩ . الرعد (١٣)، الآية ٢٨.

ويرد عليه: أنّ الجمع يأتي على آلِهة دون أولِهة.

وقيل: مِن «لاه» وهو الارتفاع; لأنّه تعالى مرتفع عن شوب مشابهة المصنوعات ومتعال عن جميع النقائص والعيوبات، بل المناسبة منتفية برأسها بينه وبين الممكنات تعالى الله عن أن يحوم حول إدراكه فكر أو قياس وينال ذاته عقل أو وهم أو حواسّ.

وقيل: من «إله الشيء» إذا تحيّر فيه; لأنّ العقول متحيّرة بين الأقدام في معرفة ذاته وليس لهم إلاّ الإقرار بوجود واجب الوجود المتّصف بالجمال والكمال، وإلاّ الاعتراف بالعجز عن إدراك ذات ذي الجلال.

وقيل: من «لاهَ يَلُوه» إذا احتجب; لأنّه تبارك وتعالى كان محجوباً عن إدراك الأبصار بل هو مدركها.

وقيل: من «أله الفصيل» إذا وَلَعَ بأُمّه; لأنّ العبيد يتضرّعون ويفزعون إليه في البليات كما قال الله عزّ وجلّ: **(وَإِذا مَسَّ النّاسَ ضُرٌّ دَعَوا رَبَّهُمْ مُنيبينَ إِلَيْهِ)**[٦٠] [٦١].

اللطيفة الثالثة ـ في أنّه [أي: لفظ الجلالة] الاسم الأعظم: اختلف الفضلاء القائلون بوجود الاسم الأعظم على وجوه: منهم من قال: هو «ذو الجلال والإكرام» متمسّكين بالروايات[٦٢].

ومنهم من قال: إنّه «الحيّ القيّوم» لما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال:

«لمّا كان يوم بدر قاتلت ثمّ جئت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنظر إلى ما يصنع؟ قال: فجئت فإذاً هو ساجد يقول: يا حيّ يا قيّوم ولا يزيد على ذلك ثمّ رجعت إلى القتال ثمّ جئت وهو يقول ذلك فلا أزال أذهب وأرجع وأنظر إليه ولا يزيد على ذلك إلى أن فتح الله»[٦٣].

وغير ذلك من الأخبار والروايات الدالّة على ذلك، بعضها صريحاً وبعضها ضمناً.

ومنهم من قال بأنّ اسم الأعظم غير منحصر في واحد واثنين بل إنّ الأسماء كلّها عظيمة ولا تفاوت بينهم. والنصوص الدالّة على أعظمية اسم من الآخر، تدفع هذا القول. وما وردت من الأخبار والآثار الدالّة على تفضيل بعض الأسماء، وتخصيص بعض الآيات وكثرة الثواب في تلاوتها، المذكورة على ألسنة الرواة والمثبتة في كتب الأحاديث، المروية من الأسانيد العامّية والخاصّية المنسوبة إلى سادات الأمّة ورؤساء العصمة والإمامة وأهل بيت النبوّة والولاية (عليهم السلام)، أكثر من أن يُحصى; فلا مجال لإنكار ذلك.

---

٦٠ . الروم (٣٠)، الآية ٣٣.

٦١ . انظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، ج ١، ص ٢٨ و٢٩; المفردات، للراغب الإصفهاني، ص ٨٢; مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١٦١; تفسير البيضاوي، ج ١، ص ٣٣; تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢١.

٦٢ . انظر: مفاتيح الغيب، ج ١، ص ١١٥ وتفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين، ج ٤، ص ٣٧.

٦٣ . السنن الكبرى للنسائي، مع تفاوت يسير، ج ٦، ص ١٥٧، الرقم ١٠٤٤٧ ومسند أبي يعلى، ج ١، ص ٤٠٤; المستدرك للحاكم النيسابوري، ج ١، ص ٢٢٢; مجمع الزوائد للهيثمي، ج ١٠، ص ١٤٧.

ومنهم من قال: إنّ الأسماء العظيمة «لفظ الجلالة» وهو الحقّ; لأنّك بعدما علمت أنّه علم للذات الصمدية المستجمعة للصفات الثبوتية الكمالية والمبرّاة عن الصفات السلبية وهو دالّ على الذات المخصوصة الأحدية لا غير، وهذا المقام غير ثابت لاسم من الأسماء العظام; لعدم دلالته على ما دلّ عليه هذا الاسم إلاّ على سبيل الالتزام. ويؤيّد هذا القول ما روي عن أسماء بنت زيد أنّها روت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)قال: «الاسم الأعظم في هاتين الآيتين: (**إِلـهُكُمْ إِلـهٌ واحِدٌ لا إِلـهَ إِلاّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ**)[٦٤] وفاتحة سورة آل عمران: (**اللهُ لا إِلـهَ إِلاّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ...**)[٦٥]»[٦٦]، وعن بريدة «أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) سمع رجلا يقول: اللّهمّ إنّي أسألك بأنّي أشهد أن لا إله إلاّ أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال:

«والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسم الأعظم إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»[٦٧].

ولا شكّ أنّ الاسم في الآيتين والحديث أصل والصفات مرتّبة عليه.

فالحاصل: أنّ شرافة اسم وعظمته على الآخر باعتبار شرافة مدلوله بأحد الدلالات الثلاثة، فمن تفكّر في مدلول لفظ الجلالة بحسب الدلالة المطابقة وهو الذات المستجمعة لجميع الصفات الجمالية والجلالية وعلم بأنّه لا يوجد في الأسماء اسم، له هذه الجامعية في الدلالة على جميع الصفات الكمالية إلاّ هو حكم بأنّه الأعظم. والأقوال في هذا المرام ممّا لا يسعه المقام أن تذكر بالتفصيل والتّمام.

اللطيفة الرابعة ـ في أنّ هذا الاسم هل هو عين ذاته أو غيرها.

اعلم أنّهم اختلفوا في هذا المرام بأنّ الاسم هل هو غير المسمّى أو عينه; فذهب الأشاعرة إلى الأوّل والمعتزلة إلى الثاني، وأمّا المتأخّرون من نحارير أهل الكلام فقد تحيّروا في هذا المقام حتّى جزم بعضهم أنّ البحث فيه لفظي، بل إنّ الخلاف بلا ثمر والنزاع بلا أثر. والحقّ هو الأوّل; لأنّ الجاهل لا يشكّ ولا يرتاب في أنّ لفظ الأسد ليس حيواناً مفترساً ولا لفظ الأسود قابضاً للبصر ولا لفظ النار محرقاً ولا التلفّظ بالعسل والشكر يوجب الحلاوة فضلا عن الفاضل الكامل فلذلك قال الفقهاء: إنّ من عبد الأسماء خاصّة فقد عبد غير الله عزّ وجلّ وكان كافراً ومن عبد الاسم والمعنى

---

٦٤ . البقرة (٢)، الآية ١٦٣.

٦٥ . آل عمران (٣)، الآية ٢.

٦٦ . بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٢٦; سنن الدارمي، ج ٢، ص ٤٥٠; سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٢٦٧، الرقم ٣٨٥٥; سنن أبي داود، ج ١، ص ٣٣٥; سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٧٩; المصنّف لابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٥٧; ج ٨، ص ٣٠٨; مسند ابن راهويه، ج ٥، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

٦٧ . بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٢٤; المسند لأحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٣٤٩; ٣٥٠; ٣٦٠; سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٢٦٧ ـ ١٢٦٨، الرقم ٣٨٥٧; سنن أبي داود، ج ١، ص ٣٣٥، الرقم ١٤٩٣; المستدرك للحاكم، ج ١، ص ٥٠٤; المصنّف لابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٥٧، ج ٨، ص ٣٠٨; مسند ابن راهويه، ج ٥، ص ١٨٥; السنن الكبرى، ج ٤، ص ٣٩٥; صحيح ابن حبّان، ج ٣، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

كليهما فقد عبد الاثنين وكان مشركاً ومن عبد الصور والأجسام الحاصلة في الوهم والخيال فقد كان زنديقاً. فلا بدّ للعابد أن يعبد المعنى بدلالة الاسم عليه ويعتقد به قلبه وينطق به لسانه في السرّ والعلن كما قال أبو جعفر (عليه السلام):

«إنّ ذلك ديني ودين آبائي (عليهم السلام)»[٦٨].

واستدلّ بعض الأشاعرة على إثبات هذا الأمر: بأنّ اللفظ عَرَضٌ ممكن والمسمّى قد يكون جوهراً بل واجباً.

واحتجّت المعتزلة بأمرين:

الأوّل: قوله تبارك وتعالى: **(تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ)**[٦٩].

وفيه: نظر; إذ كما يجب علينا أن ننزّه ذاته جلّت عظمته عن جميع صفات النقصان، فكذا يجب تقديس اسمه عن سوء الأدب.

والثاني: أنّ النكاح والطلاق يقعان شرعاً بالحمل على الأسماء.

وفيه: نظر; إذ المراد الذات التي يعبّر عنها بهذا اللفظ.

بصيرة

إعلم، أنّ لفظ الجلالة مجرور بإضافة الجارّ والمجرور إليه [في بسم الله] واختلفوا في أنّ المضاف إليه هل هو المضاف أو حرف جرّ المقدّر **فالأوّل** مذهب سيبويه **والثاني** الزجّاجي. وهذه الإضافة معنوية بمعنى «اللام»; لأنّ الإضافة في عرف النحاة كما حقّقوها، منحصرة في قسمين: معنوية ولفظية; إذ هي لا تخلو إمّا أن تفيد التعريف أو التخصيص أو لا. فالمفيد عبارة عن الأوّل وما لم يفد عبارة عن الثاني وهو مقصود في ثلاثة أماكن كما ذكره الجمهور **أحدها:** إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله لو كان بمعنى الحال والاستقبال نحو «ضارب عمرو الآن أو غداً».

و**ثانيها:** إضافة اسم المفعول إلى ما كان نائباً مناب فاعله إذا كان بمعنيهما أيضاً نحو «معمول الدار غداً أو الآن».

و**ثالثها:** إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعله نحو «حَسَنُ الوجه». ومنهم من جعلها عبارة عن الأوليين وأخرج إضافة الأخيرة منها إذ اللفظية إضافة الصفة إلى معمولها، ومنهم من زاد على الثلاثة إضافة أفعل التفضيل أيضاً نحو «أفضل القوم» وقال بأنّها منحصرة في أربعة أنواع.

والمستفاد من هذا الكلام أنّ ما خلا هذه الأقسام يكون معنوياً.

فثَبَتَ أنّ إضافة الاسم إلى الله معنوية لا لفظية، ولأنّ الإضافة المعنوية التي هي الأصل فيها تنقسم على ثلاثة أقسام إمّا أن يكون بمعنى «اللام» أو «من» أو «في»، ضرورة أنّ المضاف إليه لا

---

٦٨ . لعلّه إشارة إلى ما نقله أبو شعبة الحراني في تحف العقول عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام)، ص ٣٢٦.

٦٩ . الرحمن (٥٥)، الآية ٧٨.

يخلو فيها إمّا أن يكون ظرفاً للمضاف أم لا فالأوّل متضمّن معنى «في» نحو «قتيل الطفّ» و«مكر الليل» وهذا القسم قليل. والثاني إمّا أن يمكن حمل المضاف إليه على المضاف أم لا فالأوّل يكون بمعنى «من» نحو «خاتم فضة» والثاني بمعنى «اللام» نحو «دار زيد»، فالمضاف إليه فيما نحن فيه لمّا لم يكن ظرفاً ولا يجوز حمله على المضاف، تَعيَّن أنّه من قبيل الثالث لا من الأوّل ولا من الثاني.

فحاصل المرام في هذا المقام: أنّ الله عبارة عمّن يفزع ويتوجّه إليه عند الحوائج والمكاره والشدائد كلّ مخلوق، فهو المرجوّ لو انقطع الرجاء من جميع من عداه، والمدعوّ لو انقطعت الأسباب عن كلّ من سواه، كما يدلّ على ذلك ما قاله رجل للصادق (عليه السلام): يابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر المجادلون عليّ وحيَّروني فقال أبو عبد الله:

«هل ركبت سفينةً قطّ؟

قال: بلى فقال: هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تعينك؟

قال: بلى.

فقال: هل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على تخليصك من ورطتك؟

قال: بلى.

فقال: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا مُنجي وعلى الإغاثة حين لا مُغيث»[٧٠]، انتهى.

(الرحمن الرحيم)

اختلفوا فيهما. فمنهم من قال: إنّهما صفتان مشبّهتان كالسَّلمان والسَّليم، مِنْ سِلْم. بُنيا من رَحِمَ بالكسر، فلمّا كانت الصفة المشبّهة لا تشتقّ إلاّ من لازم فنقلناه إلى رَحُمَ بالضَّمّ فصار من الطبيعيات كَكَرُمَ ليصحّ الاشتقاق، وأنّ كليهما [أي الرحمن والرحيم] بمعنى واحد وهو ذو الرحمة الكثيرة، والجمع بينهما إنّما هو للتأكيد والمبالغة.

ومنهم من قال: إنّهما مشتقّان ممّا قيل لكنّ مَعنَيْهما ليسا بواحد بل «الرّحمن» أبلغ وأشدّ مبالغة من «الرحيم»; لأنّ زيادة المباني توجب زيادة المعاني، كما في قَطَعَ وقَطَّعَ والعلاّم والعليم وكُبَار وكُبّار; وذلك لأنّ الرحمة في قولنا يا «رحمن الدنيا» عبارة عن النِعَم الدنياويّة من الحواسّ الظاهرية والباطنية والعلوم والإدراكات ونحو ذلك ممّا ينتظم به أساس التَعيُّش، وذلك شامل للمؤمنين والكافرين والصالحين والطالحين والموافقين والمنافقين وفي قولنا يا «رحيمَ الآخرة» مختصّة بالطائفة الأولى لا الأخيرة; لأنّها عبارة عن النِعَم الأبدية والسَّعادات السَّرمدية من

---

٧٠ . التوحيد للصدوق، ص ٢٣١ وفي المصدر «تغنيك» بدل «تعنيك».

التفضّلات الإلهية والشّفاعات إمّا من قِبَل الله تعالى أو بذريعة أنبيائه أو أوليائه أو من يتقرّب إليه من خُلَّص عِباده.

فالحاصل: أنّ «الرحمن» لفظهُ خاصّ لأنّه عبارة عن المنعم الحقيقي البالغ في الرَّحمة غايتها لا يصدق على غيره ولا يطلق على من عداه ومعناه عامّ لشموله على كِلتا الطائفتين و«الرحيم» عكسه، أي: كان لفظه عامّاً لصحّة إطلاقه على ما سواه ممّن يرحم، ومعناه خاصّاً لإختصاص الرَّحمة الأخروية بالأولى خاصّة وهي عبارة عن المغفرة مع ما ذكرناه لك. و«الرحمة» معناها لغةً، الإلطاف ورقّة القلب والإعطاف الذي يقتضي التفضّل والإحسان ومنه الرَّحِم لانعطاف الأمّ على ما فيها.

وإنّما قدّم الرحمن مع أنّ القياس مقتض; لأن يترقّى مِن الأدنى إلى الأعلى; لأنّ الرَّحمة الدنيويّة مقدّمة على الأخروية ولأنّ هذا اللفظ لمّا كان لا يوصف به سوى الله عزّ وجلّ ولا يطلق على غيره صار كالعَلَم، ولو كان مجازاً فتقديم المختصّ أولى من المشترك، ولأنّه لمّا كان دالاً على أُصول النعم وجسامها وجلائلها، ذكر الصفة الأخيرة بعد ذلك حتّى يكون شاملا لما عداها وخرج منها فيكون كالتتمّة لذلك الوصف.

وأمّا تخصيص البسملة بالوصفين من بين الصفات العظمى إنّما هو للتنبيه على مضمون «سَبَقَتْ رحمتي غضبي»[٧١]، وأمّا تخصيصها بالأسماء الثلاثة إنّما هو ليحصل جميع مقاصد الإنسان; إذ له ثلاثة أشياء: قلب ونفس وروح، فكلّ واحد منها طالب لشيء أمّا «القلب» فهو طالب المعرفة والإيمان، وأمّا «النفس» فطالب للرزق والإحسان، وأمّا «الروح» فطالب العفو والغفران والجنّة والرضوان، فالمطالب الثلاثة حاصلة بهذه الأسماء، أو ليعلم الفطن العارف أنّ وجه الاستعانة بذكر اسمه في جميع الأعمال والأفعال والأقوال والأحوال، هو كونه واجب الوجود والمحمود المعبود الذي معطي النعم كلّها جليلها وحقيرها دنيوية كانت أو أُخروية، حتّى يتوجّه إلى جنابه حقّ التوجّه والإقبال، ويفوّض إليه مطالبه ومآربه ومشاغله، ويتوكّل عليه في جميعها، ويتمسّك بالحبل المتين. ويعتصم بالعروة الوثقى، ويشغل سرّه ونجواه بذكره ويقطع آماله عن الخلائق ويرغب إليه ولا يرغب عنه; إذ به يستغنى ولا يستغنى عنه وبقدرته تذلّ الصعاب وبلطفه تتسبّب الأسباب[٧٢] ومن فضله تمحى الذّنوب والخطيئات وإليه تنتهي الحاجات وعنده نيل الطّلبات وبطوله ترتفع الدرجات.

اللّهمّ اجعلنا من المفوِّضين إليك والمتوكّلين عليك والسّالكين في مسالك اليقين والواصلين إلى الحقّ المبين والمحروسين من حيل الشيطان والمحفوظين من الخطأ في القول والعمل والإذعان

---

٧١ . وهو قوله (عليه السلام): «يا من سبقت رحمته غضبه» انظر: الصحيفة السجّادية، ص ٣٤٥.

٧٢ . كلامه مأخوذ من الدعاء السابع للصحيفة السجّادية حيث قال سيّد الساجدين (عليه السلام): «ذَلَّتْ لقُدرتِك الصِّعاب وتَسبَّبَتْ بلُطفِكَ الأسباب».

والممهّدين لقواعد الدين والمروّجين لقوانين الهداة المهديين بحرمة أشرف الأوّلين والآخرين وعترته المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أمّا «الألف واللام» الداخلة على هذين الوصفين [أي: الرحمن والرحيم] يمكن أن تكون بمعنى الذي بنى، على ما قاله بعض النحويين من أنّ الألف واللام في جميع الصفات موصولة. وإعراب الاسمين: إمّا «الجرّ» على أنّهما صفة للمضاف إليه.

فإن قيل: كيف يكون «الرحمن» مجروراً مع أنّه غير منصرف؟

قلت: **أوّلا:** لا نسلّم أنّه غير منصرف بل هذا أوّل النزاع الواقع بين النحاة في أنّ الشرط في فَعلان هل هو انتفاء فَعلانة أو وجود فَعلى، ولو كان الثاني شرطاً كان منصرفاً وإن كان الشرط هو الأوّل ثبت مدّعاكم مع أنّه غير معلوم.

وثانياً: سلّمنا ذلك؛ لأنّه الأظهر إلحاقاً له بما هو الأغلب والأشهر في بابه لكن لا نسلّم أنّه لم يكن مجروراً أصلا وأنّ الفتح علامة الكسر مطلقاً نعم، كان كذا ما لم يدخل عليه الألف واللام فإذا دخل كان بالكسر.

وقيل: إنّ «الرحمن» بدل لا نعت و«الرحيم» صفة له لا للمبدل منه إذ لا يجوز تقديم البدل على الصفة أو «الرفع» على أنّهما خبر مبتدأ محذوف وهو «هو» أو النصف[٧٣] على أنّهما مفعولان للمقدّر وهو «أعني»، والوجهان كلاهما خلاف الأصل فيكونان في الأخيرين نعتين مقطوعين.

(الحَمدُ للهِ)

الحمد له معنيان:

أحدهما: لغوي وهو الثناء على الجميل الاختياري نعمةً كان أو غيرها واحترزنا بالجميل عن الوصف على القبيح كوصف الشيطان بالرجيم والأمراء بالبغي، وبالاختيار عن غيره كوصف اللؤلؤ بالصفاء فخرج المدح عن التعريف، وبالترديد في المتعلّق، خرج الشكر عنه وإن كان يمكن أن يخرج عنه بذكر الثناء خاصّة أيضاً.

و[معنى] الآخر: عرفي وهو فعل مشعر عن تعظيم المُنعم من حيث إنّه كذا سواء كان بالقول أو بالعمل أو بالإذعان، وأمّا حمد الله سبحانه عزّ وجلّ على بعض صفاته فآئل[٧٤] إلى أنّه بإزاء الآثار الصادرة عن تلك الذات الشريفة بالاختيار التي كانت عَيَّنها بناءً على ما هو الحقّ. و«الذمّ» نقيض الحمد و«الكفران» نقيض الشكر.

و«الشكر» له معنيان: أيضاً **أحدهما:** لغوي وهو الثناء على الجميل الاختياري في مقابلة النّعمة قولا وعملا واعتقاداً.

---

٧٣ . وكذا في النسختين والصحيح «النصب».

٧٤ . من آلَ، يؤول من «أول» بمعنى «رجوع».

والثاني: اصطلاحي وهو صَرْف العبد جميع ما أنعم الله تعالى عليه فيما خلق لأجله، والمدح عبارة عن الثناء على الجميل مطلقاً ولم يثبت له اصطلاح أصلا، فالثناء أعمّ من هذه الثلاثة ولكلّ واحدة منها فصول وخواصّ.

والمراد من الجميل الاختياري، الصفات الحسنة والأفعال الوجيهة والأعمال الطيّبة والأخلاق الجميلة التي تصدر عن فاعلها مع كونه مختاراً لا مضطرّاً في الصدور كشرارة النّار وحرارتها وصفاء اللؤلؤ وشفافيتها.

والمقصود من النعمة ما يستفاد من مفهومه التعدّي والمجاوزة إلى الغير كالإعطاء والإحسان والإنعام ونحو ذلك. والمطلوب من غيرها ما كان على خلاف ذلك كالعلم والقدرة والحسن والشجاعة وغيرها.

ولمّا علمت ما ذكرنا، فاعلم الفرق بين الصور المركّبة من هذه المعاني; أمّا الفرق بين الحمد اللغوي والشكر اللغوي فهو أعمّ من وجه; لأنّ الحمد من حيث المتعلّق عامّ إذ هو يعمّ النعمة وغيرها كما يقال حمدت زيداً على كرمه وعلمه ومن جهة المصدر خاصّ; لأنّه إنّما يكون باللسان فقط والشكر بعكس ذلك أي: ما كان مصدره عامّاً; لأنّ ذلك يمكن أن يصدر من اللسان والجنان والأركان ومتعلّقه خاصّاً; لأنّه لا يكون إلاّ في مقابلة النعمة، وأمّا الفرق بين الحمد والشكر الاصطلاحيين فهو أعمّ مطلقاً; لأنّ الحمد أعمّ والشكر أخصّ. والنسبة بين الحمد اللغوي والحمد الاصطلاحي هي الأعمّ من وجه، وبين الحمد الاصطلاحي والشكر اللغوي هي التساوي. والفرق بين الحمد والمدح هو الأعمّ والأخصّ مطلقاً; لجواز أن يقال: مدحت اللؤلؤ على صفاتها ولا يقال: حمدت النار على شرارها وكذلك الفرق بينه وبين الشكر، بل النسبة في باقي الصور أعمّ أو أخصّ مطلقاً، ووجه إيثار الحمد على الشكر إنّما هو لكون الحمد عمدة في الشكر ومن شعبه; لأنّ الحمد أشيع للنعمة وأدلّ عليها لخفاء الاعتقاد ولتطرّق الاحتمال في أدب الجوارح; فلذا جعل رأس الشكر كما قال خير الأنام عليه الصلاة والسلام: «الحمد رأس الشكر، ما شَكَرَ اللهُ مَن لم يَحمده»[٧٥] ولشموله للنِّعم السارية وغيرها ولكونه عامّاً للخصال التي كانت متجاوزة كالكرم مثلا وما لا يتجاوز كالعلم مثلا بخلاف الشكر; إذ هو مختصّ بالأولى لا الأخيرة، وكان لله عزّ وجلّ من صفات الكمال ما لا يمكن حومه وحصره ومن جلائل النوال ما لا يضبط عدّه وقصره; فلذا كان الحمد أنسب، والسرّ في اختياره على المدح هو أنّه يعمّ الحي والميّت كليهما وكما يكون بعد الإحسان كذلك يكون قبله أيضاً، وأمّا الحمد فمختصّ بالأوّل فهو أولى لكونه دالاً على أنّه تعالى حي لا ميّت وأنّ الإحسان واصل إلينا ومستفيض علينا لا أنّه غير واصل إلينا.

---

٧٥ . تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ج ٢، ص ١٠٦; المصنّف لعبد الرزّاق الصنعاني، ج ١٠، ص ٤٢٤; الجامع الصغير، ج ١، ص ٥٩٢، الرقم ٣٨٣٥.

وله وجه آخر يفهم من التعريف عند التدبّر وهو [أي الحمد لله] مرفوع بالابتداء والجارّ والمجرور خبره وهو مرفوع محلاً بالمبتدأ، وهذا المذهب هو المنصور عند الجمهور; لأنّ العمل للطلب والمبتدأ طالب للخبر فلذا عمل فيه، ومن قال بأنّ رافع الجزئين هو الابتداء فبطلانه أظهر من الشمس وأبين من الأمس; لأنّ أقوى العوامل لا يمكن أن يعمل رفعين من دون اتّباع فكيف بالأضعف، ومن قال إنّهما مترافعان أيضاً مردود للزوم إعمال الخبر في المرفوعين بدون اتّباع كما في نحو زيد قائم أبوه وهو فاسد لما بيّناه، ومن قال إنّ الابتداء والمبتدأ كليهما رافعان للخبر فهو مردود أيضاً غاية الردّ بل أفحش الأغلاط لعدم جواز اجتماع العاملين على معمول واحد كما هو المبرهن في باب التنازع. ومن القُرّاء من قرأ بضمّ اللام [في «لُله»] في الخبر، وهو إبراهيم بن عيله، لإتباعها بـ«الدال» [في الحمدُ] ومنهم من قرأ بكسر الدال، وهو الحسن البصري، لإتباعها باللام نحو الحمْدِ لله لأنّهما بمنزلة كلمة واحدة في الاستعمال معاً.

والعدول عن [الجملة] الفعلية إلى الاسمية إنّما هو للدلالة على دوامه وثباته له دون حدوثه، ثمّ نُقلت الجملة عن الخبرية إلى الإنشائية; لأنّ المقصود إيجاد الحمد وإنشائه لا أنّ المراد الإخبار بأنّه سوف يوجد، ومنهم من قال إنّ الحمد من قبيل الأوامر اللاتي وردت على صفة الإخبار نحو قوله تعالى: (**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ**)[٧٦] فالتقدير إحْمَدِ اللهَ عزّ وجلّ.

اعلم: أنّ «لام التعريف» عبارة عمّا يشار إلى ما كان معروفاً عند المخاطب فهي لا تخلو إمّا أن يكون المقصود منها الإشارة إلى نفس مفهوم اللفظ الذي دخلت عليه وتعيّنه وحضوره في الذهن مع قطع النظر عن الأفراد فهي «لام الجنس» كما في قولهم: الرجل خير من المرأة والفرس خير من الحمار وقولهم: الإنسان نوع والحيوان جنس، فإنّ المراد منها نفس الماهية والحقيقة من حيث هي هي الموجودة في الذهن، أو يكون المقصود، الإشارة إلى المفهوم باعتبار كونه في ضمن فرد معيّن معهود فهي «لام العهد الخارجي» وهي منقسمة على ثلاثة أقسام: لأنّها إمّا أن يشار بها إلى ما ذكر لفظه سابقاً كما في نحو قوله عزّ وجلّ: (**كَمِشْكاة... المِشكاةُ في زُجاجَة**)[٧٧] وتسمّى بالعهد الذكري، أو يشار إلى ما كان المتكلّم والمخاطب كلاهما عالمين به كما في نحو قولهم: ركب الأمير فتسمّى بالعهد العلمي; إذ الأمير عندهما منحصر في المرء معيّن، أو يشار إلى ما كان حاضراً كما في نحو قوله تبارك وتعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**)[٧٨] فتسمّى بالعهد الحضوري، أو يكون المقصود الإشارة إلى تلك الطبيعة مع كونها في ضمن فرد ما، فهي لام العهد الذهني كما في قولهم: «اُدخُل السوق وَاشْتَر اللّحم» إذ ليست الحقيقة مطلوبة، لدلالة القرينة على ذلك وهي الدخول والاشتراء وكذلك العهد إذ المفروض أنّه لا عهد في الخارج، أو يكون المقصود الإشارة إلى تلك

---

٧٦ . البقرة (٢)، الآية ٢٢٨، فالتقدير: فالمطلّقات تَرَبَّصنَ بصيغة الأمر.

٧٧ . النور (٢٤)، الآية ٣٥.

٧٨ . المائدة (٥)، الآية ٣.

الماهية مع كونها في ضمن جميع الأفراد فتكون بمعنى الكلّ كما في نحو قوله عزّ وجلّ: (**إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاّ الَّذِينَ آمَنُوا**)[٧٩].

والحاصل أنّ اسم الجنس المعرَّف باللام إمّا أن يطلق على نفس الحقيقة من غير نظر إلى المصداق أصلا وهو تعريف الجنس ومثله عَلَم الجنس كأُسامة، وإمّا أن يطلق على أفراد معيّنة من تلك الحقيقة وهو العهد الخارجي ومثله علم الشخص كزيد، وإمّا أن يطلق على أفراد غير معيّنة من تلك الماهية وهو العهد الذهني ومثله النكرة كرجل، وإمّا أن يطلق على جميع الأفراد وهو الاستغراق ومثله كلّ. واللام حقيقة في الحقيقة ومجاز في الباقي كما هو المحقّق في مقامه.

وبعد ما علمت جميع ما ذكرناه لك تفهم بأنّ «لام التعريف» الداخلة على هذا المبتدأ، أيُّ قسم من الأقسام؟ ونصرّحه لك أيضاً ونقول إنّ «لام التعريف» فيما نحن فيه يمكن أن تكون للاستغراق فتكون اللام إشارة إلى أنّ كلّ حمد من أيّ حامد صدر، استقرّ أو ثابت له; إذ الحمد كلّه له سبحانه; إذ ما من خير إلاّ وهو مفيضه إمّا بواسطة أو بغير واسطة كما قال تبارك وتعالى: (**وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**)[٨٠] ويمكن أن تكون للجنس وحينئذ تدلّ على العموم التزاماً; لأنّ الحقيقة موجودة في ضمن جميع الأفراد فتكون إشارة إلى أنّ ماهية الحمد وحقيقته التي يعرفها كلّ أحد فهي تثبت أو مستقرّة له ويمكن أن تكون للعهد الذهني فتكون إشارة إلى أنّ الفرد الأكمل اللائق به ثابت له جلّ وعلا، والأوجه إيثار الجنس كما هو المختار عند صاحب الكشّاف[٨١]; لأنّ لام التعريف موضوعة للجنس فلا يفتقر فهم ذلك من اللفظ إلى قرينة دالّة عليه بخلاف الاستغراق ومع ذلك فهي دالّة على حصر الأفراد ضمناً وكناية وهي أبلغ من التصريح.

وإنّما قدّم الحمد مع أنّ الخبر هو الذات الواجب الوجود المستجمعة لجميع الصفات والكمالات المقدّسة عن جميع النواقص والعيوبات وذات الله تعالى أهمّ وأقدم على جميع الأشياء واسمه تعالى أنسب للتصدير; لأنّه لمّا تعارض هذا الاهتمام مع المقصود وهو إيجاد الحمد فتساقط كلاهما عن درجة الاعتبار فعمل بالأصل الذي هو عبارة عن تقديم المبتدأ على الخبر; لأنّ حقّ العامل التقديم على المعمول.

ومنهم من قال في وجه التقديم: إنّ الحمد أهمّ من جهة أنّ البلاغة في الكلام عبارة عن مطابقته لمقتضى المقام، فالمقام مقام الحمد لا مقام معرفة ذات الله تعالى ويرد عليه أنّ هذا الاهتمام عارض بسبب المقام والأهمّية في تقديم اسم الله عزّ وجلّ إنّما هو ذاتي والحَرِيّ أن يتقدّم الذاتي على العرضي ولو لم يتقدّم لا ينبغي أن يتأخّر أيضاً لئلاّ يلزم الترجيح بلا مرجّح.

---

٧٩ . العصر (١٠٣)، الآية ٢ ـ ٣.

٨٠ . النحل (١٦)، الآية ٥٣.

٨١ . الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٩ و١٠.

وأورد على هذا القائل أنّه يشكل بقوله تعالى: (**فَلِلّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ**)[٨٢] الآية، وقوله تعالى: (**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمواتِ وَالأَرْضِ**)[٨٣] إلى غير ذلك حيث قدّم اسم الله تعالى على الحمد في هذه الآيات مع أنّ المقام مقام الحمد.

والجواب: منع أنّ المقام في الآي المذكورة مقام الحمد بل مقام بيان استحقاقه تعالى واختصاصه بالحمد كما أشار إليه صاحب الكشّاف فيه[٨٤].

فإن قلت: إنّ اقتضاء المقام تقديم الحمد معارض بفوات الحصر المطلوب.

قلت: إنّ صاحب الكشّاف قد صرّح بوجود الاختصاص في الحمد لله كما في لله الحمد فلا مانع من التقديم مع وجود المقتضي أعني المقام.

وإنّما قرن الحمد باسم الله دون غيره من الأسماء الحسنى; لأنّه كما مرّ آنفاً اسم للذات الواجب الوجود المستجمعة لجميع صفات الكمال فيدلّ على أنّ استحقاقه لأن يحمد به، إنّما هو لاستجماعه لجميع المحاسن والصفات بخلاف غيره منها فإنّه يدلّ على أنّ كونه مستحقّاً له إنّما هو معناه المطابقي لا غير و«اللام» في الخبر للاختصاص.

(**رَبِّ العالَمِينَ**)

«الربّ» إمّا بمعنى التربية وهي «إبلاغ شيء وإصلاحه إلى كماله»[٨٥] فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل كالبرّ بمعني البارّ، فالتقدير «مربّي العالمين»، فهذا من قبيل وصف الشيء بالمصدر للمبالغة نحو رجل عدل وزيد صوم، أو هو عبارة عن الخالق والمالك; لأنّه كان خالق للمصنوعات ومنشئهم من العدم ومربّياً للموجودات ومنعمهم من النعم من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون ورازقهم ممّا يعلمون وممّا لا يعلمون، وهذا الوصف لا يمكن أن يطلق على غير الله تعالى مطلقاً; نَعَم يصدق مقيّداً وهو كثير شائع نحو ربّ الدار.

و«العالمين» جمع عالَم كما قيل، وهو اسم لما يعلم به كالخاتم لما يختم به، وهو عبارة عمّا سواه من الموجودات جوهراً أم عرضاً بسيطاً أم مركّباً عقلا أم نفساً ملكاً أو فلكاً عنصراً أم جسماً جماداً أم نباتاً حيواناً أم إنساناً كما ورد في الأخبار «أنّ لله تعالى وتقدّس ثمانية عشر ألف عالَماً أصغرها هذه الدنيا وما فيها»[٨٦].

---

٨٢ . الجاثية (٤٥)، الآية ٣٦.

٨٣ . الروم (٣٠)، الآية ١٨.

٨٤ . راجع: الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٨ و٩ و١٠.

٨٥ . انظر: رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين للسيّد علي خان الحسيني، ج ٢، ص ٣١٥. وفي تفسير البيضاوي: «الربّ في الأصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً» (ج ١، ص ٥١).

٨٦ . لم أعثر عليه في المصادر.

وأمّا كونه مربيّاً لهذه العوالم; فلأنّه يدبّر فيها ما يشاء بقدرته بحسب استعداداتها ويمسكها من التساقط والمتهافت من التلاحق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بأمره، ويمسك الأرض أن تنخسف إلاّ بإذنه[٨٧]، ويفيض على بعضهم من رحمته وينزل عليه من بركته على حسب قابليته، فإنّه بعباده عطوف رؤوف خبير بصير يُعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ويرزق من يشاء بغير حساب ويميت الأحياء ويُحيي الموتى وهو حيّ لا يموت ويحيي الأرْضَ بَعْدَ موتها وكذلك تخرجون، فإنّه تعالى كما أنّه قادر على إنشاء الأشياء وإبداعها فكذلك يقدر على إفنائها وإهلاكها.

ووجه تسمية هذه الموجودات بالعالم إنّما هو من جهة أنّه يُعلم بها وجود الصانع المؤثّر; إذ أنّها لمّا كانت ممكنة ومحتاجة إلى مؤثّر ليرجّح طرف الوجود على العدم فتدلّ على وجود المؤثّر. وإنّما جمع ليعمّ جميع ما تحته من المصنوعات المختلفة والأجناس المتضادّة والأنواع المتفاوتة والأفراد المتغايرة. والإتيان على صيغة المذكّر إنّما هو لتغليب العقلاء منهم على غيرهم.

ومنهم من قال: بأنّ المراد من العالم هو الإنسان; لكونه محتوياً على نظير تلك العوالم; لأنّ فيه عقلا وروحاً، والأحجب التسعة التي وقعت في رأسه بمنزلة الأفلاك، والحواسّ ظاهرة أو باطنة كالأملاك الموكّلين للتدبير في الأمور، والبخارات المجتمعة في الدماغ بمنزلة كرة النار، والنفس ككرة الهواء، والمعدة ككرة الأرض، والكبد الذي هو مجمع الدم ومنه يجري إلى العروق ومنها إلى الأعضاء ككرة الماء، والعيون الجارية والأنهار الساكبة التي كانت مختلفة اللون والطعم واللذّة والرائحة الكائنة في الرؤوس والأبدان كالعيون والأنهار والآبار التي تجري على وجه الأرض وتسكُب فيها، والأشعار فيها كالأشجار فيها، والثقوب والمنافذ والعظام صغيرةً أو كبيرةً كالتّلال[٨٨] والوَهاد[٨٩] والجبال، فالحاصل أنّ الإنسان يشتمل على نظير ما في العالم الأكبر ممّا تدلّ على وجود الخالق البارئ المصوِّر ويعلم به وجوده كما يُعلم بما في العالَم الأكبر وهذا هو المرام من قول الإمام أمير الأنام (عليه السلام):

أتَحسَب أنّكَ جِرْمٌ صغيرٌ *** وفيكَ انطوَى العالَم الأكبرُ[٩٠]

---

٨٧ . هذه العبارة مأخوذة من الرواية التي ذكرها الصدوق (رحمه الله) في عيون الأخبار (ج ١، ص ٢٨٤) عن علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال الإمام: ربّ العالمين وهم الجماعات من كلّ مخلوق من الجمادات والحيوانات ... وأمّا الجمادات فهو يمسكها بقدرته ويمسك المتّصل منها أن يتهافت ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه ويمسك الأرض أن تنخسف إلاّ بأمره إنّه بعباده لرؤوف رحيم.

٨٨ . التلال: جمع التّل وهو ارتفاع من سطح الأض عن المناطق التي حوله يشبه الجبل لكنّه أصغر منه.

٨٩ . الوَهاد: جمع وهدة وهو أسفل من سطح الأرض عن المناطق التي حوله; منخفض طبيعي على سطح الأرض.

٩٠ . ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ١٧٥ وفيه: وتحسب أنّك...

ومنهم من قال: إنّه ليس بجمع[٩١] بل اسمه; لأنّ الجمع ما كان مدلوله زائداً على مدلول مفرده وهذا ليس كذلك.

وأمّا إعرابه بالجرّ، إمّا على أنّه عطف بيان للخبر أو صفة له فحينئذ لا بدّ أن يكون الربّ مصدراً لتفيد الإضافة التعريف; إذ إضافة اسم المشبّهة لا تفيده كما قيل بل تفيد التخفيف لأنّها لفظية لا معنوية كما بيّناه.

ومنهم من قرأ بالنصب إمّا على أنّه مفعول للمقدّر أو لكونه منادأ مضافاً وحرف النداء محذوف فيكون من قبيل قوله تعالى: (**يُوسُفُ أعْرِضْ عَنْ هذا ...**)[٩٢] ويمكن أن يكون مرفوعاً على أنّه خبر لمبتدأ محذوف.

واختلفوا في أنّ «نون الجمع» هل تكون مفتوحة أم مكسورة والحقّ هو الأوّل كما هو المشهور بين الجمهور ليحصل الفرق بين نون المثنى وبينه نصباً وجرّاً، فإن قيل: لِمَ لَمْ ينعكس ذلك؟

قلت: إنّ الجمع لمّا كان ثقيلا بالكثرة لزم أن يتحرّك بما هو أخفّ الحركات. وكسرها قليل بل مختصّ بالضرورة كما ورد والفرق بين لفظيهما حاصل بكسر ما قبل العلامة في الأوّل وفتحه في الثاني في كلتا الحالتين.

(الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)

وكلاهما صفتان للخبر، والأوّل عبارة عن المشفق على الخلق والعاطف على ما مَلك بالرِّزق ماداموا حيّاً وإن كانوا عاصياً عليه، والثاني عبارة عمّن يرحم بعباده المؤمنين لا الكافرين. وما بيّناه سابقاً من الإعراب والفرق ووجه التقديم ونحو ذلك يجري في هذا المقام أيضاً.

وتكرار هذين الوصفين للتنصيص على أنّ وجه الاستعانة باسم الله تعالى إنّما هو لكونه مُوجِداً ومُنعماً ومُشفقاً، وللإشعار بأنّ اعتناءه جلّ شأنه بالرحمة أشدّ وأكثر، وللتنبيه على مزية شأن هذين الوصفين على ما سواه من الأوصاف في هذا المقام.

(مالِكِ يَومِ الدِّينِ)

وهذا بناءً على قراءة عاصم والكسائي ويعقوب[٩٣] والمالك، عبارة عمّن يتصرّف كيف شاء وأراد فيما يملكه; لأنّ الله تعالى كان متصرّفاً وحاكماً في يوم الحساب ولا يملك الحكم والقضاء في ذلك

---

٩١ . كذا في نسخة «ب» وهو الصحيح وفي نسخة «ألف»: بجميع.

٩٢ . يوسف (١٢)، الآية ٢٩.

٩٣ . انظر: مجمع البيان، ج ١، ص ٢٣.

أحد من الحكّام والظُلاّم، بل هو قادر على تقديمه عن وقته وتأخيره منها ويَعضُده قوله تعالى: (**يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْس شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذ للهِ**)[٩٤].

ومن القرّاء من قرأ «مَلِك»[٩٥] تعظيماً وتَبجيلا، وهو من يتصرّف بالأمر في المأمورين والنهي في المنهيين ويؤيّده أُمور:

الأوّل: أنّها أنسب بالإضافة إلى يوم الدين كما يقال ملك العصر والزّمان. **والثاني:** أنّها أوفق لقوله عزّ وجلّ: (**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْواحِدِ الْقَهّار**)[٩٦]. **والثالث:** أنّها أشبه لما كان في خاتمة القرآن.

ومنهم من قرأ «مِلْك»[٩٧] على وزن الفعل.

ومنهم من قرأ «مَلْك»[٩٨] بفتح الفاء وسكون العين.

ومنهم من قرأ «مالكاً»[٩٩] بالنصب منوّناً إمّا على الحال أو المدح.

ومنهم من قرأ «مالكٌ»[١٠٠] بالرفع منوّناً على أنّه خبر مبتدأ محذوف.

ومنهم من قرأ «مَلِكَ»[١٠١] بالرفع والنصب مضافاً.

والدين: لغة عبارة عن الجزاء كقولهم ديّنته بما صنع، أي: جزيتُه ومن ذلك قولهم: «كما تُدينُ تُدان»[١٠٢] وبيت الحماسة:

«وَلم يَبقَ سِوى العُدوان دنّاهم كما دانوا»[١٠٣]

وقيل بمعنى الحساب[١٠٤] نحو قوله عزّ وجلّ: (**ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**)[١٠٥]، أي: الحساب المستقيم.

وبمعنى الخضوع والخشوع نحو قولهم: دانَتْ له الأخيارُ والأشرارُ، أي: خضعت.

---

٩٤ . الانفطار (٨٢)، الآية ١٩.

٩٥ . وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عامر وغيرهم، انظر: جامع البيان للطبري، ج ١، ص ١٤٧.

٩٦ . غافر (٤٠)، الآية ١٦.

٩٧ . وهي قراءة الشعبي وعطية وأبي عثمان الهندي. انظر: الإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري، ج ١، ص ٤.

٩٨ . وهي قراءة أبي عمرو وأبي هريرة وعاصم الجحدري، انظر: تفسير القرطبي، ج ١، ص ١٢٩ والكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٩.

٩٩ . لم أجد قائله.

١٠٠ . وهي قراءة خلف ابن هشام وأبي عبيد وأبي حاتم، انظر: البحر المحيط، ج ١، ص ٢٠.

١٠١ . وهي قراءة أنس بن مالك وأبي حيوة ريح بن يزيد وسعد بن أبي وقاص وعائشة، انظر: الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٢٠

١٠٢ . الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٩. وقال ابن منظور في لسان العرب، ج ١٣، ص ١٦٩، هذا من شعر خويلد بن نوفل كلابي مخاطباً لحرث بن أبي شمر غسّاني قال:

يا حار أيقن أنّ ملكك زائل *** واعلم بأن كما تدين تدان

١٠٣ . انظر: الكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ٥٧; أنوار التنزيل للبيضاوي، ج ١، ص ٢٨.

١٠٤ . وهو المروي عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر (عليهما السلام) وابن عبّاس، انظر: مجمع البيان، ج ١، ص ٢٤.

١٠٥ . التوبة (٩)، الآية ٣٦.

وبمعنى العادة والديدان نحو قولهم: هذا ديْنُكم أبداً، أي: عادتكم.
وقيل: إنّ الدين عبارة عن الملّة النبوية[١٠٦].
وقيل: هو العبادة[١٠٧] فَكِلا القولين [أي الجزاء والعبادة] جيّدان والمعنى أنّه قادر يوم جزاء الشريعة والعبادة على الأشياء كيف ما يشاء.
وإضافة الصفة [أي مالك] إلى الظرف [أي يوم الدين] معنوية ليصحّ وقوعُه صفة للمعرفة ولأنّ اللفظية إنّما تتحقّق بإضافة الصفة إلى المعمول، نحو: ضاربُ زيد. واليوم ليس معمولا لها بل معمولها محذوف والتقدير: «أنّه مالك الأمور كلّها في ذلك اليوم» ولذا كان صفة للمعرفة فيكون من قبيل: مصارع المصر وكريم العصر.
واختصاص هذا الظرف بالإضافة مع أنّه سبحانه ملك ومالك لكلّ الأشياء في جميع الأوقات دالّ على تعظيم ذلك اليوم وتبجيله وأنّ المِلك والمُلك الحاصِلين ظاهراً لبعض الجُهّال والظُلاّم والفُسّاق في هذه الأزمان، يزولان في ذلك اليوم عنهم ويتّصف جناب الحقّ جلّ وعلا بهما منفرداً لا غيره من المخلوقات، واتّصافه بهذه الصفات من كونه عزّ وجلّ كاملا في الذات والصفات وموجداً للمصنوعات ومربّياً لهم ومعطياً للمخلوقات ومحسناً إليهم الآلاء والنعماء جسيماً كان أو حقيراً في الدنيا والآخرة ومنزل البركات عليهم ومستحقّاً لأن يتصرّف في أمورهم يوم الحساب وقادراً على جميع الأشياء يوم الثواب والعذاب، إمّا مشعر بعدم استحقاق من عداه بالحمد بل هو وليّه ومستحقّه لكونه مستجمعاً لجميع صفات الكمال ومقدّساً عن كلّ العيوب والنقائص; لأنّ تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلّية، أو ليدلّ على أنّ الوصف الأوّل [أي: ربّ العالمين] لذكر ما هو الداعي للحمد وهو الإيجاد والتربية والثاني والثالث [أي: الرحمن الرحيم] للدلالة على أنّه مُتفضّل ومُنعم، مختاراً فيه لا أنّه ليصدر منه على سبيل الاضطرار والرابع [أي: مالك...] لتحقيق اختصاص الحمد به فإنّه ممّا لا يقبل الشركة فيه بوجه ما، فالمفهوم من طريق المفهوم أنّ من لم يكن متّصفاً بهذه الصفات لا ينبغي أن يُحمد به ولا يليق أن يُعظَّم له فضلا عن أن يُعبَد به.
وهذا صفة للخبر كسائر الصفات ويمكن أن يكون بدلا عنه.

(إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعين)

فلمّا ذكر المستحقّ واتّصافه بالصفات الجليلة والأفعال الجميلة وتقدّسه عن الأوصاف الرذيلة والأفعال القبيحة على طريق البعد والغيبة عن مقام القرب والحضور ـ كما هو قانون الأدب ـ تعلّق العلم من المعلوم الغائب إلى المخاطب للترقّي من الأدنى إلى الأعلى ولأنّه تبارك وتعالى حاضر في جميع الأوان وموجود في كلّ زمان ولا يغيب بل هو أقرب إلينا من حبل الوريد، وانتقل من

---

١٠٦ . لم أجد قائله.
١٠٧ . لم أجد قائله.

الغيبة إلى الحضور إمّا ليدلّ على أنّ المعقول صار مشاهداً وعياناً، بمعنى أنّه أوّل الكلام على ما هو الأنسب لحال العارف من الذّكر والفكر والتأمّل في أسمائه والنظر في نعمائه وآلائه والاستدلال بآثاره وصنايعه على وجوده وعظيم شأنه ثمّ ذكر ما هو المنتهى من الخوض في سبب الوصول فكأنّه يراه عياناً ويناجيه شفاهاً، أو للتنبيه على أنّ القراءة ينبغي أن تصدر عمّن كان قلبه حاضراً وتوجّهه إلى جناب الحقّ كاملا بحيث كلّما أجرى على لسانه اسماً من الأسماء العليا ووصفاً من الصفات العظمى، حصل له مزيد انكشاف وانجلاء وقرب واعتلاء إلى أن يترقّى من مرتبة الغيبة والبرهان إلى الحضور والعيان فحينئذ يستدعي المقام العدول إلى صيغة الخطاب كما أنّ ديدان العرب والفصحاء، التفنّن في الكلام والعدول عن أسلوب إلى الآخر مثلا يميلون من الخطاب إلى الغيبة كما في نحو قوله عزّ وجلّ: **(وَإِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ)**[١٠٨] ومن الغيبة إلى التكلّم كما في نحو قوله عزّ وجلّ: **(اللهُ الَّذي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ)**[١٠٩] ومن الخطاب إلى التكلّم كقول امرء القيس[١١٠]:

تَطاوَلَ لَيْلُكَ بِالإثْمدِ *** ونَامَ الخَلِيُّ ولَم تَرْقُد

وبَاتَ وباتَتْ لهُ لَيْلَتُه *** كلَيْلَةِ ذِي العائرِ الأرْمَد

وذلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَني *** وخُبِّرْتُهُ عن أبي الأسْوَد

واختلف النُحاة في الضمير المنصوب المنفصل.

فمنهم، من قال: إنّ «الكاف» و«الهاء» و«الياء» هي الضمائر ولمّا كان التكلّم بها خاصّة متعذّراً فلذا لزم انضمام لفظ «إيّا» إليها لتكون مستقلاً[١١١].

ومنهم من قال: إنّ «إيّاً» ضمير منصوب منفصل وما لحقت بها منها، كانت حرفاً وليس[١١٢] لها محلّ من الإعراب نحو قولهم أرأيتك[١١٣] والالتحاق إنّما هو للدلالة على الخطاب والغيبة والتكلّم.

ومنهم من قال: إنّ المجموع ضمير منصوب منفصل[١١٤].

ومنهم من قرأ «هيّاك» بقلب الهمزة «هاء»[١١٥].

---

١٠٨ . يونس (١٠)، الآية ٢٢.

١٠٩ . فاطر (٣٥)، الآية ٩.

١١٠ . امرء القيس بن حجر الكندي الجاهلي، انظر ديوان امرئ القيس، ص ٨٤ ولكن قال ابن هشام: هو غلط وقائله امرؤ القيس بن عابس الصحابي، وقيل لعمرو بن معديكرب. وأبو الأسود: كنية صاحب الشاعر الذي يرثيه، وقيل هو المخبر واسمه ظالم بن عمرو وهو عم امرئ القيس. انظر: الكشّاف، ج ١، ص ٦٤.

١١١ . انظر: إملاء ما مَنّ به الرحمن للعكبري، ص ٧ فقد حكى عن قوم أنّهم قالوا: الكاف اسم وإيّا عماد له وهو حرف.

١١٢ . وهو قول سيبويه، انظر: إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري، ص ٧.

١١٣ . الشاهد في «ك» أنّه حرف وليس لها محلّ من الإعراب.

١١٤ . وهو قول الكوفيين، انظر: مشكل إعراب القرآن للقيسي، ج ١، ص ٤١.

١١٥ . وهي قراءة ابن السوار الغنوي، انظر: تفسير القرطبي، ج ١، ص ١٤٦.

وأمّا الفعلان [نعبد ونستعين] فهما مرفوعان بالإجماع لكنّهم اختلفوا في تحقيق الرافع للمضارع.
ومنهم من قال: إنّه مرفوع بالعامل المعنوي وهو خلوّه عن النواصب والجوازم.
ومنهم من قال: إنّ العامل فيه حروف المضارعة.
ومنهم من قال: إنّ رافعه وقوعه موقع الاسم.
فالأصحّ هو الأوّل لما اشتهر في الألسنة من أنّه مرفوع لتجرّده عن الجازم والناصب، والقول الثاني باطل بأنّ جزء الشيء كيف يعمل فيه، والقول الثالث منقوض بقولهم «هلاّ يضرب» إذ المضارع هنا مرفوع مع أنّ الاسم لا يقع بعد حرف التحضيض.
وأمّا «نون المضارعة» الداخلة على الفعلين فمفتوحة.
ومنهم من قرأها بالكسر[١١٦] وهو لغة بني تميم، فإنّهم يكسرون حروف المضارعة سوى «الياء».
والعبادة: عبارة عن كون الطاعة في نهاية الخضوع وغاية الخشوع وأعلى مراتب التذلّل، فلذا لا ينبغي بها أحد إلاّ من هو محسن لأعلى النعم ومنعم لأعظمها كالحياة مثلا.
والاستعانة: هي طلب المعونة في الارتكاب بالمأمورات والاجتناب عن المنهيات بل في جميع المهمّات سيّما في أداء العبادات حتّى نعمل ما أمرنا به على وجهه ونتّقي عمّا نهانا عنه كما هو حقّه.
والضمير المستتر [أي: نحن] راجع إلى القارئ.
وإتيان الفعل على وزن المتكلّم مع الغير مع أنّه واحد إمّا للإشعار بأنّ القارئ لا بدّ أن يلاحظ الحَفَظَة من الملائكة في القراءة ويدخلها فيها، أو حُضّار صلاة الجماعة، أو جميع حواسه ظاهرةً كانت أو باطنة، أو جميع ما حوت عليه دائرة الإمكان من الموجودات كما قال الله عزّ وجلّ: **(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)**[١١٧]، أو لِيُدرِجَ العابد عبادته في عبادات المرسلين والمؤمنين ويمزجها فيهم ويخلط حاجته في حوائجهم ويجعلها في سِلك عباداتهم حتّى تكون طاعته مقبولة وحوائجه مقضية ببركتهم; لأنّه لا شكّ في كون عباداتهم خالصة لله عزّ وجلّ، فمن باع أجناساً مختلفة [في] صفقة واحدة فكان بعضها معيباً فلا يجوز للمشتري أن يقبل الصحيح ويردّ المعيب بل إمّا أن يقبل الجميع أو يردّ الجميع، فإدراج العابد عبادته في عبادات المقرّبين كأنّه عرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجلال والإفضال فكيف ينبغي لله عزّ وجلّ أن يردّ المعيب ويقبل الصحيح مع أنّه نهى عباده عن ذلك، وردّ الجميع لا يليق بكرمه العميم و جوده الجسيم وفضله الكريم فلم يبق إلاّ قبول الجميع وهو المقصود والمطلوب.
وتقديم ما حقّه التأخير كالمفاعيل مثلا إمّا ليدلّ على حصر العبادة وطلب المعونة على المنعم الحقيقي، كما قيل إنّ معناه نطيعك مخلصين لك ونعبدك ولا نعبد سواك وأنت مختصّ بالاستعانة

---

١١٦ . وهي قراءة زيد بن علي وآخرين، انظر: البحر المحيط لابي حيّان، ج ١، ص ٢٣.
١١٧ . الإسراء (١٧)، الآية ٤٤.

ولا نستعين عداك، أو للتعظيم والاهتمام به، أو للإيماء إلى أنّ العابد والمستعين ينبغي أن يكون مطمح نظرهما أوّلا الحقّ سبحانه عزّ وجلّ على وُتيرة «ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله قبله»[١١٨] ثمّ إلى أعمالهم باعتبار كونها وسيلة شريفة ووصلة لطيفة بينهما وبين الله عزّ وجلّ، فإنّ الحري للعارف العالم أن يستغرق في ملاحظة آثار جناب القدس ويغيب عمّا عداه حتّى أنّه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها إلاّ من حيث إنّها ملاحظة له ومنتسبة إليه.

وتكرار الضمير للتنبيه على أنّ المختصّ بالعبادة هو المستحقّ بالاستعانة، وبعبارة أخصر: إنّ المعبود هو المستعان لا غير، ويحتمل أن يكون ذلك لكون بسط كلام المحبّ مع المحبوب مطلوباً كما في قول موسى على نبيّنا وعليه السلام: (**هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرى**)[١١٩] ومن عبد الله عزّ وجلّ مع كونه مرائياً للناس أو استعان بغيره فقد خسر خسراناً مبيناً كما سئل عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من كان شقاوته أعظم؟ فقال:

«رجل ترك الدنيا للدّنيا ففاتته الدنيا وخسر الآخرة، ورجل تعبّد واجتهد وصام رياء الناس فذاك الذي حرم لذات الدنيا ولحقه التعب ـ الذي لو كان به مخلصاً لاستحقّ به ثوابه ـ فورد الآخرة وهو يظنّ أنّه قد عمل ما يثقل به ميزانه فيجده هباء منثوراً»[١٢٠].

وقدّم العبادة على الاستعانة إمّا لأنّ العبادة مطلوب الله عزّ وجلّ من العباد والاستعانة مطلوبهم فالأنسب أن يقدّم مطلوبه على مطلوبهم، أو ليعلم أنّ تقديم الذريعة والوسيلة على المطالب أولى من إجابة المآرب.

وجعل الاستعانة عقيب العبادة للدلالة على أنّها لا تتمّ إلاّ بتوفيقه وإعانته.

و«الواو» في الجملة الثانية عاطفة على الأولى، ومنهم من قال بأنّها حالية والتقدير نعبدك مستعينين بك. قال الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) في تفسير ذلك عن آبائه وأجداده صلوات الله وسلامه عليهم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله تبارك وتعالى: «قولوا إيّاك نستعين على طاعتك وعبادتك وعلى دفع شرور أعدائك وردّ مكائدهم والإقامة[١٢١] على ما أمرت به»»[١٢٢].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل (عليه السلام) عن الله عزّ وجلّ قال: قال الله تعالى: «يا عبادي كلُّكم ضالّ إلاّ مَن هديتُه فاسألوني الهدى أهدِكم، وكلُّكم فقير إلاّ من

---

١١٨ . مشرق الشمسين للشيخ البهائي، ص ٤٠٢; مفاتيح الغيب للرازي، ج ٢٩، ص ٤٤٩; شرح أصول الكافي للملا صالح المازندراني، ج ٣، ص ١٣ و٩٨ وج ٥، ص ٨٣; تفسير البيضاوي، ج ٥، ص ٥٤٥.

١١٩ . طه (٢٠)، الآية ١٨.

١٢٠ . بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٥١.

١٢١ . في المصدر: المقام.

١٢٢ . التفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٤١.

أغنيتُه فسألوني الغِنا أرزقُكم، وكلُّكم مُذْنِب إلاّ من غفرتُه فاسألوني المغفرة أغفِرُ لكم ومن علم أنّي ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرتُ له بقدرتي ولا أبالي، ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحيَّكم وميّتَكم ورطبَكم ويابسَكم اجتمعوا على اتّقاء[١٢٣] قلب عبد من عبادي لم يزيدوا في ملكي جناح بعوضة، ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحيّكم وميّتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فتمنّى كلّ واحد ما بلغت أمنيته فأعطيته لم يتبيّن ذلك في ملكي، كما لو أنّ أحدكم مرّ على شفير البحر فغمس فيه إبرة ثمّ انتزعها وذلك بأنّي جواد واجد[١٢٤]; عطائي كلام وعذابي كلام، فإذا أردت شيئاً فإنّما أقول له كن فيكون. يا عبادي، اعملوا أفضل الطاعات وأعظمها لأسامحكم وإن قصّرتم فيما سواها واتركوا أعظم المعاصي وأقبحها لئلاّ أناقشكم في ركوب ما عداها; إنّ أعظم الطاعات، توحيدي والتصديق بنبيّي والتسليم لمن نصبه بعده وهو علي بن أبي طالب والأئمّة الطاهرين من نسله وإنّ أعظم المعاصي وأقبحها عندي الكفر بي وبنبيي ومنابذة ولي محمّد بعده علي بن أبي طالب وأوصيائه[١٢٥] بعده فإن أردتم أن تكونوا عندي في المنظر الأعلى والشرف الأشرف فلا يكوننّ أحد من عبادي آثر عندكم من محمّد وبعده من أخيه علي وبعدهما من أبنائهما القائمين بأمور عبادي بعدهما، فإنّ من كانت تلك عقيدته جعلته من أشراف ملوك جناني، واعلموا أنّ أبغض الخلق إليّ من تمثّل بي وادّعى ربوبيّتي، وأبغضهم إليّ بعده من تمثّل بمحمّد ونازعه بنبوّته وادّعاها، وأبغضهم إليّ من تمثّل بوصيّ محمّد (صلى الله عليه وآله)ونازعه محلّه وادّعاها، وأبغض الخلق إليّ بعد هؤلاء المدّعين لما[١٢٦] همّ به لسخطي متعرّضون، من كان لهم على ذلك من المعاندين، وأبغض الخلق إليّ بعد هؤلاء من كان بفعلهم من الراضين وإن لم يكن لهم من المعاونين، وكذلك أحبّ الخلق إليّ القوّامون بحقّي وأفضلهم لديّ وأكرمهم عليّ، محمّد (صلى الله عليه وآله)سيّد الورى، وأكرمهم وأفضلهم بعده أخو المصطفى (صلى الله عليه وآله) علي المرتضى ثمّ من بعده من القوّامين بالقسط[١٢٧] من أئمّة الحقّ، وأفضل الناس بعدهم من أعانهم على حقّهم، وأحبّ الخلق إليّ بعدهم من أحبّهم وأبغض أعداءهم وإن لم يمكنه معونتهم»[١٢٨] انتهى.

---

١٢٣ . في المصدر: إنقاء.

١٢٤ . الواجد من أسماء الله بمعنى الغني. «منه»

١٢٥ . في المصدر: أوليائه.

١٢٦ . وهو المتعلّق بقوله المدّعين والموصول عبارة من هذه المدّعيات والضمير في «به» راجع إلى الموصول والباء للسببية. منه.

١٢٧ . القسط بالكسر ضد القسوط والأوّل هو العدل والثاني هو الجور والعدول من الحقّ ومن الأوّل قوله تعالى: (**إنّ الله يحبّ المقسطين**) ومن الثاني قوله تعالى: (**وأمّا القاسطين فكانوا لجهنّم حطباً**). منه.

١٢٨ . التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٤٣ ـ ٤٢.

[شطر من أخبار فضائل أهل البيت (عليهم السلام) **وفضيلة شيعتهم]**

ولمّا انجرّ الكلام إلى فضيلة شيعتهم ومحبّيهم وكونهم هم الفرقة الناجية والمتّبعون لأولياء الله وحججه الطاهرين فلنذكر لك قطرة من بحار فضيلتهم وشأن رتبتهم وشمّة من مزيّة درجتهم (عليهم السلام)، والأخبار الدالّة على تفضيل أمّة محمّد [(صلى الله عليه وآله)] على سائر الأمم سيّما على كون شيعة علي وأولاده الطاهرين ومحبّيهم هم الناجون وعلى أفضليّتهم على جميع من سواهم أمّا من طريق أهل البيت فمستفيضة منها: ما كانت منقولة من كتاب ***بشارة المصطفى*** (صلى الله عليه وآله) لشيعة المرتضى[١٢٩](عليه السلام) أنّه روى أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)دخل يوماً على علي بن أبي طالب عليه سلام الله الملك الغالب، مسروراً مستبشراً فسلّم عليه وردّ عليه الجواب وقال:

«جئتك أبشّرك، إعلم أنّ في هذه الساعة نزل جبرئيل من الربّ الجليل وقال: الحقّ يقرؤكَ السلام ويقول بشّر علياً أنّ شيعته الطائع والعاصي من أهل الجنّة، فلمّا سمع مقالته خرّ ساجداً ورفع يديه إلى السماء ثمّ قال: إشهد عليَّ يا ربّ، أنّي وهبت لشيعتي نصف حسناتي، فقالت فاطمة (عليها السلام): إشهد عليَّ يا ربّ، أنّي وهبتُ لشيعة علي نصف حسناتي، فقال الحسن (عليه السلام) مثلها، فقال الحسين (عليه السلام) كذلك، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ما أنتم بأكرم منّي إشهد عليَّ يا ربّ، أنّي وهبتُ لشيعة علي نصف حسناتي، فقال الله عزّ وجلّ: ما أنتم بأكرم منّي إنّي قد غفرت لشيعة علي ومحبّيهم ذنوبهم جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين ولعنة الله على أعدائهم من الجنّ والإنس من الأوّلين والآخرين»[١٣٠].

ومنها: ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

« ... لمّا بعث الله عزّ وجلّ موسى بن عمران واصطفاه نجيّاً وفلق له البحر فنجّى[١٣١] به بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه عند[١٣٢] ربّه، فقال: يا ربّ، لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي[١٣٣].

---

١٢٩ . وهو لأبي جعفر محمّد بن أبي القاسم محمّد بن علي الطبري من علماء الإمامية في القرن السادس.

١٣٠ . لم أجده في المصدر. انظر: غاية المرام للبحراني، ج ٦، ص ٨٩ ـ ٩٠، قال: «نقل تحفة الإخوان عن كتاب بشارة المصطفى لشيعة علي المرتضي ...»; وقال الماحوزي في كتاب الأربعين، ص ١٠٦ ـ ١٠٧: «ونقل الفاضل الجليل الشيخ إبراهيم القطيفي ـ عطّر الله مرقده ـ في كتابه المسمّى بالفرقة الناجية عن كتاب بشارة المصطفى لشيعة علي ...» وفي شرح إحقاق الحقّ، ج ٧، ص ١٦٤، قال: «رواه القوم منهم العلاّمة المولى محمّد صالح الترمذي في «المناقب المرتضوية» (ص ٢٠٧، ط بمبئي).

١٣١ . في المصدر: ونجى بني إسرائيل.

١٣٢ . في المصدر: من ربّه.

١٣٣ . في المصدر: من قبلي.

فقال الله تعالى: يا موسى، أما علمت أنّ محمّداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي!

فقال[١٣٤] موسى: يا ربّ، فإن كان محمّد أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي.

قال الله عزّ وجلّ[١٣٥]: أما علمتَ أنّ فضل آل محمّد (صلى الله عليه وآله) على آل جميع الأنبياء[١٣٦] كفضل محمّد (صلى الله عليه وآله) على جميع المرسلين.

قال: يا ربّ، فإن كان آل محمّد (صلى الله عليه وآله) عندك[١٣٧] كذلك فهل[١٣٨] في أمم الأنبياء أفضلُ عندك من أمّتي; ظلّلتَ عليهم الغَمام وأنزلتَ عليهم المنّ والسَّلوى[١٣٩] وفلقت لهم البحر؟

فقال الله: يا موسى، أما علمت أنّ فضل أمّة محمّد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي!

فقال موسى: يا ربّ، ليتني كنت أراهم! فأوحى الله تعالى إليه يا موسى، إنّك لن تراهم فليس أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنان جنّات عدن والفردوس بحضرة محمّد في نعيمها يتقلّبُون وفي خيراتها يَتَبَحْبَحون[١٤٠]، أفتحبّ أن أسمعك كلامهم؟

قال: نعم يا إلهي.

قال: قم بين يدي واشدُد مَئزرَك قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، ففعل ذلك موسى، فنادى الملك ربّنا عزّ وجلّ يا أمّة محمّد، فأجابوه كلّهم ـ وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمّهاتهم ـ لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك لا شريك لك لبّيك لبّيك إنّ الحمد والنّعمة لك والمُلك لا شريك لك [لبّيك]، قال: فجعل الله عزّ وجلّ تلك الإجابة شعائر الحجّ، ثمّ نادى ربّنا عزّ وجلّ يا أمّة محمّد إنّ قضائي عليكم أن رحمتي سبقتْ غضبي وعفوي قبل عقابي، فقد استجبتُ لكم من قبل أن تدعوني وأعطيتُكم من قبل أن تسألوني، مَن لقِيني منكم بشهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، صادق في أقواله محقّ في أفعاله، وأنّ علي بن أبي طالب أخوه ووصيّه من بعده ووليّه، يلتزم طاعته كما يلتزم

---

١٣٤ . في النسخة: «قال» وما أثبتناه من المصدر.

١٣٥ . في المصدر: يا موسى، أما علمت.

١٣٦ . في المصدر: النبيين.

١٣٧ . في المصدر كلمة «عندك» محذوفة.

١٣٨ . في المصدر: «في صحابة... في أمم الأنبياء» ليس موجودة.

١٣٩ . المنّ هو شيء يشبه الترنجبين حلو الطعم، والسّلوى السّماني أو طائر يشبه السّماني، فكان ينزل عليهم المنّ من طلوع الشمس ويأتيهم السلوى فيأخذ كلّ إنسان منها كفايته إلى الغد إلاّ يوم الجمعة فيأخذ ليومين لأنّه لم ينزل يوم السبت.

١٤٠ . في كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٢٧: يتبجّحون أي يَتَنَعَّمون.

طاعة محمّد، وأنّ أولياءه المصطفين الأخيار المطهّرين المباينين[١٤١] بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أوليائه، أدخلتُه جنّتي وإن كانت ذنوبه مثل زَبَد البحر، قال: فلمّا بعث الله نبيّنا محمّداً (صلى الله عليه وآله) قال: يا محمّد (**وَ مَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا**) أمّتَك بهذه الكرامة، ثمّ قال عزّ وجلّ لمحمّد (صلى الله عليه وآله): قل: الحمد لله ربّ العالمين على مَا اخْتَصَّني به من هذه الفضيلة وقال لأمّته: قولوا الحمدُ للهِ ربّ العالمين على ما اختصَّنا به من هذه الفضائل»[١٤٢]، انتهى.

الحمد لله الذي عرّفني نفسه ولم يَتركني عَميانَ القلب، والحمد لله الذي جعلني من أمّة محمّد (صلى الله عليه وآله)ولم يجعلني من الأمم الماضية والقرون السالفة.

ومنها: ما رواه أبو الطفيل عن علي (عليه السلام)، قال:

قال رسول الله [فيّ]: «أنت الوصي» إلى أن قال: «وإنّ محبّيك وشيعتك ومحبّي أولادك الأئمّة بعدي محشورون معك وأنت معي في الدرجات العلى»[١٤٣].

ومنها: ما رواه جابر بن يزيد، عن محمّد بن علي الباقر (عليه السلام)، قال:

«سُئلت أمّ سلمة زوجة النبي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنّ علياً (عليه السلام)وشيعته هم الفائزون»[١٤٤].

ومنها: ما رواه عن زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه عن علي (عليه السلام)، قال:

«شكوت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حسد الناس إيّاي، فقال: يا علي، إنّ أوّل أربعة[١٤٥] يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين وذرّيّتُنا خلفَ ظهورنا وأحِبّاؤُنا خلفَ ذرّيّتنا وأشياعُنا عن أيمانَنا وشَمائلنا»[١٤٦].

ومنها: ما رواه أبو الأسود الدؤلي عن أمّ سلمة، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«يا علي، إنّ الله تبارك وتعالى وَهَب لك حبَّ المساكين والمستضعفين في الأرض فرضيتَ بهم إخواناً ورضوا بك إماماً فطوبى لك ولمن أحبَّك وصدَّق فيك

---

١٤١ . المباينة المفارقة قال الجوهري: أي المفارقين والممتازين عن الخلق بعجائب آيات الله. منه عفى الله عنه. وفي علل الشرائع، ص ٤١٨: الميامين، وفي عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٥٦: المنبئين.

١٤٢ . علل الشرايع للصدوق، ج ٢، ص ٤١٧ ـ ٤١٨; عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وشطر منه في من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

١٤٣ . كفاية الأثر للخزاز القمي، ص ١٥١ وعنه بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٣٥.

١٤٤ . الإرشاد للمفيد، ج ١، ص ٤١ ـ ٤٢; تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٤٢، ص ٣٣٣.

١٤٥ . في المصدر: أربعين.

١٤٦ . الإرشاد للمفيد، ج ١، ص ٤٣.

وويل لمن أبغضك أو[١٤٧] كذب عليك. يا علي، أنا مدينة العلم[١٤٨] وأنت بابها ولا[١٤٩] تؤتَى المدينةُ إلاّ من بابها. يا علي، إخوانك يفرحون بك في ثلاث مواطن[١٥٠] عند خروج أنفسهم وأنا وأنت شاهدهم وعند المسألة في قبورهم وعند الصّراط. يا علي، حزبك حزبي وحزبي حزب الله[١٥١] من سالمك فقد سالمَني ومن سالمَني فقد سالم الله عزّ وجلّ. يا علي، بَشِّر شيعتَك بأنّ[١٥٢] الله تعالى قد رضى عنهم ورضيتُك لهم إماماً وقائداً[١٥٣] ورضوا[١٥٤] بك وليّاً. يا علي، أنت أمير[١٥٥]المؤمنين وقائد الغرّ المُحجّلين وأنت أبو السِّبطين[١٥٦] وأبو الأئمّة التسعة من صلب الحسين، منّا[١٥٧] مهدي هذه الأمّة. يا علي، شيعتك المنتجبون ولولا أنت وشيعتك ما قام لله دين»[١٥٨].

ومنها: ما رواه عمرو بن شِمَّر عن جابر عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

«الناس رجلان عالم ومتعلّم وسائر الناس غُثاء، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون وسائر الناس غثاء»[١٥٩].

وأمّا من طريق أهل السنّة فكثيرة، منها: ما رواه الفقيه الشافعي ابن المغازلي في مناقبه بإسناده عن أنس بن مالك، قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يدخل من أُمّتي الجنّة سبعون ألفاً لا حساب عليهم ثمّ التفتَ إلى علي (عليه السلام) فقال: هم شيعتُك وأنت إمامهم»[١٦٠].

ومنه أيضاً: بإسناده عن كُثَير بن زيد، قال: دخل الأعمش على المنصور وهو جالس لِلمظالم فلمّا بصر به قال: يا أبا سليمان، تصدّر. قال: صدرتُ حيث جلستُ ثمّ قال: حدّثني الصادق، قال: حدّثني الباقر، قال: حدّثني السجّاد، قال: حدّثني الشهيد، قال: حدّثني التقي وهو الوصيّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: حدّثني النبي (صلى الله عليه وآله) قال:

---

١٤٧ . في المصدر: وكذب.

١٤٨ . في المصدر: أنا مدينة وأنت بابها.

١٤٩ . في المصدر: ما تؤتى.

١٥٠ . في المصدر: في أربعة أماكن فرحون.

١٥١ . في المصدر: حربك حربي وحربي حرب الله.

١٥٢ . في المصدر: أنّ الله.

١٥٣ . في المصدر: رضوا بك لهم قائداً.

١٥٤ . في النسخة: «ويرضوا»، وما أثبتناه من المصدر.

١٥٥ . في المصدر: مولى.

١٥٦ . في المصدر: أبو سبطي.

١٥٧ . في المصدر: ومنّا.

١٥٨ . كفاية الأثر للخزاز القمي، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ وعنه بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٤٨.

١٥٩ . بصائر الدرجات للصفّار القمي، ص ٢٨ وعنه بحار الأنوار، ج ١، ص ١٩٤.

١٦٠ . المناقب لابن المغازلي، ص ٢٩٣.

«أتاني الأمين جبرئيل (عليه السلام) آنفاً فقال: تختّموا بالعقيق فإنّه أوّل حَجَر شَهد لله بالوحدانية و لي بالنبوّة ولعلي بالوصية ولوُلده بالإمامة ولشيعته بالجنّة، قال: فاستدارَ الناس بوجوههم نحوه فقيل له: تذكَّرْ قوماً فتعلَّم مَنْ لا يعلم»[١٦١].

ومنها: ما روى أخطب خوارزم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«من أحبّ علياً قَبِلَ اللهُ[١٦٢] صلاتَه وصيامَه وقيامَه واستجاب دعاءه، ألا ومَن أحبَّ علياً أعطاه الله بكلّ عِرق في بَدنه مدينة في الجنّة، ألا ومن أحبّ علياً[١٦٣] وآل محمّد آمن من الحساب والميزان والصراط، ألا ومن مات على حبّ علي[١٦٤] وآل محمّد فأنا كفيلُه بالجنّة مع الأنبياء، ألا ومن أبغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله»[١٦٥].

ومنها: ما رواه عن معاوية بن وحيد العشيري، قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي:

«يا علي، لا يبالي من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً»[١٦٦].

ومنها: ما روى أحمدُ بن حنبل في مسنده أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد أخذ بيده الحسن والحسين وقال:

«من أحبّني وأحبّ أباهما وأُمّهما كان معي وفي درجتي يوم القيامة[١٦٧]»[١٦٨].

ومنها: ما روي عن حذيفة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«لو اجتمع الناس على حبّ علي بن أبي طالب لم يخلق[١٦٩] الله ناراً»[١٧٠] وقال: «حبّ علي حسنةٌ لا يضرّ معها سيّئة، وبغض علي سيّئة لا ينفع معها حسنة»[١٧١].

ومنها: ما روى الخوارزمي عن ابن عبّاس قال النبي (صلى الله عليه وآله) لِعلي:

---

١٦١ . نفس المصدر، ص ٣٤٦.

١٦٢ . في المصدر: + منه.

١٦٣ . في المصدر: من أحبّ آل محمّد.

١٦٤ . في المصدر: على حبّ آل محمّد.

١٦٥ . المناقب للخوارزمي، ص ٧٢ و٧٣.

١٦٦ . المناقب لابن المغازلي، ص ٥٠.

١٦٧ . في المصدر: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذ بيده الحسن والحسين فقال: من أحبّني وهذين وأباهما وأُمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.

١٦٨ . المسند لأحمد بن حنبل، ج ١، ص ٧٧ وفيه: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما ...».

١٦٩ . في المصدر: لما خلق.

١٧٠ . المناقب للخوارزمي، ص ٦٧ وروى عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلخ الرواية; بشارة المصطفى للطبري، ص ١٢٧; كشف الغمّة للإربلي، ج ١، ص ٩٨; كشف اليقين للعلاّمة الحلّي، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦; ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي، ج ١، ص ٢٧٢ و٣٧٦، ج ٢، ص ٢٤٤.

١٧١ . المناقب للخوارزمي، ص ٧٥.

«أنت سيّد في الدنيا والآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، وحبيبي حبيب الله عزّ وجلّ، وعدوّك عدوّي وعدوّي عدوّ الله عزّ وجلّ، ويل لمن أبغضك بعدي»[١٧٢].

ومنها: ما روى الزمخشري ـ مع أنّه كان أشدّ الناس عناداً لأهل البيت (عليهم السلام) ـ قال بإسناده، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«فاطمة مُهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبَعلُها نور بصري والأئمّة من ولدها أُمناء ربّي وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا ومن تخلّف عنهم هوى»[١٧٣].

ومنها: ما رواه الجمهور من عدّة طرق «أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حمل علياً حتّى كسر الأصنام من فوق الكعبة، وأنّه لا يجوز على الصراط إلاّ من كان معه كتاب من الله بولاية علي بن أبي طالب، وأنّه ردّت عليه الشمس بعدما غابت حيث كان النبي (صلى الله عليه وآله)قائماً على الحجرة ودعا له بردّها ليصلّي علي العصر فردّت[١٧٤]، وأنّه نزّل الله له سطلا وعليه[١٧٥] منديل وفيه ماء فتوضّأ للصلاة ولحق بصلاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنّ منادياً من السماء نادى يوم أُحد لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي، وروي أنّه نادى به المنادي[١٧٦] يوم بدر أيضاً»[١٧٧]، انتهى.

اللّهمّ اجعلنا ممّن يحبّهم ويحبّ محبّهم ويبغض أعداءهم ومن والاهم من الجنّ والإنس أجمعين.

(اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ)

بيان لِما طلب المعونة فيه; إذ الحقّ في الجمل المتعاقبة أن يكون بعضها متعلّقاً لبعض آخر، والمعنى: إعطفْ علينا بتوفيقك حتّى نُطيعك في مستقبل أعمالنا وإن قصَّرنا في ماضي أيّامنا، وأرشدنا إلى الصراط المؤدّي إلى محبّتك والمُبلِّغ إلى رحمتك وجنّتك والمانع من أن نتَّبع أهواءنا أو أن نعمل بآرائنا فَنُهلك، وثَبِّتنا على دين الإسلام وما في القرآن من الآداب والأحكام ولا تُزغْنا عن السبيل الذي سلك به علي (عليه السلام) والأئمّة الكرام (عليهم السلام) إلى يوم القيام. واختلفوا في معنى الهداية.

فمنهم من قال: إنّها إيصال إلى المطلوب مستمسكاً بقوله تعالى: **(إِنَّكَ لا تَهدي مَنْ أَحْبَبْتَ)**[١٧٨].

---

١٧٢ . نفس المصدر، ص ٣٢٧.

١٧٣ . عن نهج الحقّ وكشف الصدق للعلاّمة الحلّي، ص ٢٢٧.

١٧٤ . نفس المصدر وفيه: فردّت له.

١٧٥ . نفس المصدر وفيه: نزل إليه سطل عليه.

١٧٦ . نفس المصدر وفيه: نادى به يوم البدر.

١٧٧ . انظر: نهج الحقّ وكشف الصدق للعلاّمة الحلّي، ص ٢٢٣ و٢٢٤.

١٧٨ . القصص (٢٨)، الآية ٥٦.

ومنهم من قال: إنّها الدلالة إلى الموصل إلى المطلوب، أي: إراءة السبيل محتجّاً بقوله تعالى: **(وَأَمّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى)**[١٧٩].

وكلّ واحد من القولين منقوضٌ ومدفوع بمتمسّك الآخر، فالظاهر أنّها [أي: الهداية] لفظ مشترك بين كلا المعنيين، فحينئذ يندفع نقض كلا القولين. والأغلب أنّه [أي: لفظ الهداية] إذا استعمل متعدّياً بنفسه كان بمعنى الأوّل ولو استعمل مع حرف الجرّ ولو كان تقديراً كان بمعنى الثاني. فالمراد منها هنا، هو الأوّل.

وهداية الله عزّ وجلّ تنقسم إلى أقسام عديدة، منها: خَلقُ القُوى التي بها يتعيّش الإنسان وبها يُدرك الأشياء وبها يَميِّزُ بين المُوسَويّة والفِرعونيّة كالمدركات الباطنة والقوّةِ العاقلة.

ومنها: جعلُ الدلائل منصوبة ليحصل الفرق بين الحقّ والباطل وليتميّز الصلاح من الفساد كما أشار إليه بقوله تعالى: **(فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى)**[١٨٠].

ومنها: بعث الأنبياء ونصب الأوصياء وإنزال الكتب من السماء كما أشار إليه بقوله عزّ شأنه: **(إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ)**[١٨١] وقوله تعالى: **(وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا)**[١٨٢].

ومنها: رفعُ الحُجُب والأستار عن القلوب وجعل المغيّبات والأسرار فيها مكشوفاً إمّا بالوحي، أو بالإلهام، أو بالمَنام وهذا القسم أعلى الأقسام وأسناها وأشرفِها; لأنّه مختصّ بالأنبياء والأوصياء والأولياء وإليه أشار بقوله تعالى: **(وَالَّذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا)**[١٨٣] وبقوله عزّ وجلّ: **(أُولئِكَ الَّذينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ)**[١٨٤].

والصراط على نوعين صراط في الدنيا وصراط في العُقبى. والدنيوي عبارة عمّا قصّر عن الغلوّ وعلا عن التقصير ولم يَزِغْ إلى الباطل، والأُخروي عبارة عمّا يصل إلى الجنّة ولا يميل عنها إلى النار.

والأمر في [إهدنا] مشتقّ من هَدى يَهدي بمعنى الدعاء من قبيل قوله عزّ وجلّ: **(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ)**[١٨٥] و**(قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيراً)**[١٨٦] إن[١٨٧] كانا لفظاً ومعنىً واحداً لكن الفرق

---

١٧٩ . فصّلت (٤١)، الآية ١٧.

١٨٠ . فصّلت (٤١)، الآية ١٧.

١٨١ . الإسراء (١٧)، الآية ٩.

١٨٢ . الأنبياء (٢١)، الآية ٧٣.

١٨٣ . العنكبوت (٢٩)، الآية ٦٩.

١٨٤ . الأنعام (٦)، الآية ٩٠.

١٨٥ . نوح (٧١)، الآية ٢٨.

١٨٦ . الإسراء (١٧)، الآية ٢٤.

١٨٧ . في كلا النسختين: «فإن» والظاهر ما أثبتناه هو الصحيح.

بينهما حاصل بالاستعلاء والتسفّل[١٨٨] كما هو المحقّق في مقامه وذلك [في إهدنا] يتعدّى إلى مفعولين أحدهما هنا، ضمير متّصل وهو منصوب محلاً لكونه مبنيّاً والآخر اسم ظاهر وهو «الصراط» و«المستقيم» نعت له وفائدته التوضيح، نحو: زيد الظريف، والمراد به المحكم الذي يوصل سالكه إلى المطلوب والمرام، قطعاً وهو عبارة عن الشريعة المصطفوية والطريقة المرتضوية.

وابن كثير قرأ «سراط» بالسين من سَرَطَ الطعام إذا ابتَلَعه[١٨٩] ومَن عداه من القُرّاء قَلَّب «السين»، «صاداً» لتطابق «الطاء» في الإطباق وقرأ بالصاد.

(صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)

هذا بدل عن ذلك، بدل الكلّ من الكلّ من قبيل قولهم: هذا زيد أخوك; لأنّ شرط هذا القسم من البدل اتّحاده مع المبدل منه ذاتاً وإن كانا مختلفين معنىً كما وجد في المثال المذكور. والموصول محلاً مجرور على أنّه مضاف إليه للبدل، والإضافة تفيد التعريف; لأنّ كلّ نكرة إذا أُضيفت إلى المعرفة إضافة معنوية تكسب من المضاف إليه التعريف إلاّ أسماء تُوغِّلت في الإبهام فإنّها نَكِرات وإن أُضيفت إلى المعارف، نحو: «غير» و«مثل» وسنذكر لك من أحوالها إجمالا، فذلك من قبيل كون البدل والمبدل منه معرفتين والجملة [أي: أنعمت عليهم] بعد ذلك صلة الموصول. والجارّ والمجرور والمتعلّق بها، عائد لذلك. وأمّا بناءً على ما قاله نجم الأئمّة[١٩٠] من عدم ظهور الفرق بين بدل الكلّ وعطف البيان يجوز أن يكون ذلك عطف بيان والظاهر أنّ الفرق بينهما حاصل في أنّ المقصود من الثاني الإسناد إلى الأوّل وإتيان الثاني لتوضيحه; بخلاف الأوّل فإنّ المقصود فيه الإسناد إلى الثاني وإتيان الأوّل للتوطئة لذلك كما بيّناه في موضعه.

والفائدة في جعل هذا بدلا عن ذلك، هي الإشعار بأنّ الطريق المستقيم هو طريق المعصومين المُنعم عليهم لا غير. قال الإمام الحسن بن علي (عليه السلام): «إنّ المقصود من الذين أنعمت عليهم ما قال الله تعالى في قوله: **(وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ**

---

١٨٨ . هكذا عبارة المؤلّف (رحمه الله) في كلا النسختين لكن لم يفهم المراد من كلامه ولعلّ سقط في العبارة أو المراد منه أنّ لفظ الأمر في بعض الأحيان يستعمل على سبيل الاستعلاء وفي البعض الآخر على سبيل الاستدعاء.

١٨٩ . وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن مجاهد وآخرين، انظر: مجمع البيان، ج ١، ص ٢٧ والكشّاف للزمخشري، ج ١، ص ١١.

١٩٠ . وهو الشيخ رضي الدين محمّد بن الحسن الأسترآبادي النحوي، المتوفّى سنة ٦٨٦ وكان فاضلا، عالماً، محقّقاً مدقّقاً، كاملا في فنون العربية، له كتب منها: شرح الشافية، شرح قصائد ابن أبي الحديد، شرح الكافية بالفارسية. انظر: أمل الآمل للشيخ الحرّ العاملي، ج ٢، ص ٢٥٥.

وَالصَّدِّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقاً)[١٩١] والمعنى: ارشدنا إلى سبيل الذين أنعمت عليهم بالإيمان وتصديق رسوله وبالولاية لعترته الطاهرين وأوصيائه المنتجبين[١٩٢]، انتهى.

الظاهر أنّ المراد من ذلك: سبيل من كانوا من النّاجين والمقرَّبين وَ هُم عبارة عن حيدر الكرّار وقامِع الكفّار والأئمّة الأبرار والخلفاء الأخيار; للآيات الكريمة

والأخبار الكثيرة الدالّة صريحاً على إمامة خِيرة الأحباب، ووجوب الإطاعة لسلالة الأطياب، وكونهم قُدوة لأُولي الألباب، وأنّهم أوصياء رسول المختار، والعروة الوثقى، والحبل المتين، والصراط المستقيم، والنبأ العظيم، ومصداق من تمسّك بهم نجى ومن تخلّف عنهم هلك.

[شطر من الآيات التي نزلت في أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)]

أمّا الآيات التي نزلت في شأنهم والدالّة على أنّهم الأئمّة الهدى وورثة الأنبياء.

فمنها: قوله عزّ وجلّ: **(إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ)**[١٩٣].

ومنها: قوله تعالى: **(يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)**[١٩٤]، الآية.

ومنها: قوله تعالى: **(اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً)**[١٩٥].

ومنها: قوله تعالى: **(وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ)**[١٩٦].

ومنها: قوله تعالى: **(... أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)**[١٩٧].

ومنها: قوله تعالى: **(أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ)**[١٩٨].

ومنها: قوله تعالى: **(... لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ)**[١٩٩].

ومنها: قوله تعالى: **(وَما كانَ لِمُؤْمِن وَلا مُؤْمِنَة إِذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)**[٢٠٠].

ومنها: قوله تعالى: **(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللهِ وَتَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ)**[٢٠١].

---

١٩١ . النساء (٤)، الآية ٦٩.

١٩٢ . التفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري (عليه السلام)، ص ٤٨.

١٩٣ . المائدة (٥)، الآية ٥٥.

١٩٤ . المائدة (٥)، الآية ٦٧.

١٩٥ . المائدة (٥)، الآية ٣.

١٩٦ . الإسراء (١٧)، الآية ٢٦.

١٩٧ . البيّنة (٩٨)، الآية ٧.

١٩٨ . السجدة (٣٢)، الآية ١٨.

١٩٩ . البقرة (٢)، الآية ١٢٤.

٢٠٠ . الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٦.

ومنها: قوله تعالى: (**أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبْراهيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعيراً**)[٢٠٢].

ومنها: قوله تعالى: (**ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فيهِ تَدْرُسُونَ * إنَّ لَكُمْ فيهِ لَما تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكاءَ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إنْ كانُوا صادِقينَ**)[٢٠٣].

ومنها: قوله تعالى: (**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٌ أَقْفالُها**)[٢٠٤]، (**طَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**)[٢٠٥]، (**قالُوا سَمِعْنا وَعَصَيْنا**)[٢٠٦]، (**ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظيمِ**)[٢٠٧].

ومنها: قوله تعالى: (**أَفَمَنْ يَهْدي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**)[٢٠٨].

ومنها: قوله تعالى: (**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمينَ**)[٢٠٩].

ومنها: قوله تعالى: (**... إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً**)[٢١٠].

ومنها: قوله تعالى: (**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**)[٢١١].

ومنها: قوله تعالى: (**أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَجاهَدَ في سَبيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ**)[٢١٢].

ومنها: قوله تعالى: (**إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْس كانَ مِزاجُها كافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَأَسيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُريدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً * إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً**

---

٢٠١ . القصص (٢٨)، الآية ٦٨.

٢٠٢ . النساء (٤)، الآية ٥٤ ـ ٥٥.

٢٠٣ . القلم (٦٨)، الآية ٣٦ ـ ٤١.

٢٠٤ . محمّد (٤٧)، الآية ٢٤.

٢٠٥ . التوبة (٩)، الآية ٩٣.

٢٠٦ . البقرة (٢)، الآية ٩٣.

٢٠٧ . الحديد (٥٧)، الآية ٢١ والجمعة (٦٢)، الآية ٤.

٢٠٨ . يونس (١٠)، الآية ٣٥.

٢٠٩ . القصص (٢٨)، الآية ٥٠.

٢١٠ . الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٣.

٢١١ . الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

٢١٢ . التوبة (٩)، الآية ١٩.

عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً - إلى قوله - **وَكان سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً)**[٢١٣].

ومنها: قوله تعالى: **(وَالَّذينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَإِثْماً مُبيناً)**[٢١٤].

ومنها: قوله تعالى: **(وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ)**[٢١٥].

ومنها: قوله تعالى: **(أَمْ حَسِبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ)**[٢١٦].

ومنها: قوله تعالى: **(إِنَّ الْمُتَّقينَ فِي جَنّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)**[٢١٧].

ومنها: قوله تعالى: **(... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)**[٢١٨].

ومنها: قوله تعالى: **(وَالَّذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ)**[٢١٩].

ومنها: قوله تعالى: **(عَمَّ يَتَساءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظيمِ * الَّذي هُمْ فيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلاّ سَيَعْلَمُونَ)**[٢٢٠].

ومنها: قوله تعالى: **(هذا صِراطٌ مُسْتَقيمٌ)**[٢٢١].

ومنها: قوله تعالى: **(... اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقينَ)**[٢٢٢].

ومنها: قوله تعالى: **(وَارْكَعُوا مَعَ الرّاكِعينَ)**[٢٢٣].

ومنها: قوله تعالى: **(وَالَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)**[٢٢٤].

ومنها: قوله تعالى: **(أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ)**[٢٢٥].

---

٢١٣ . الإنسان (٧٦)، الآية ٥ - ٢٢.

٢١٤ . الأحزاب (٣٣)، الآية ٥٨.

٢١٥ . الصافات (٣٧)، الآية ٢٤.

٢١٦ . الجاثية (٤٥)، الآية ٢١.

٢١٧ . القمر (٥٤)، الآية ٥٤ - ٥٥.

٢١٨ . النحل (١٦)، الآية ٤٣ والأنبياء (٢١)، الآية ٧.

٢١٩ . الحديد (٥٧)، الآية ١٩.

٢٢٠ . النبأ (٧٨)، الآية ١ - ٤.

٢٢١ . آل عمران (٣)، الآية ٥١; مريم (١٩)، الآية ٣٦; يس (٣٦)، الآية ٦١; الزخرف (٤٣)، الآية ٦١ - ٦٢.

٢٢٢ . التوبة (٩)، الآية ١١٩.

٢٢٣ . البقرة (٢)، الآية ٤٣.

٢٢٤ . البقرة (٢)، الآية ٢٧٤.

ومنها: قوله تعالى: (**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلى صِراط مُسْتَقيم**)[٢٢٦].

ومنها: قوله تعالى: (**إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْم هاد**)[٢٢٧].

ومنها: قوله تعالى: (**ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذ عَنِ النَّعيمِ**)[٢٢٨].

ومنها: قوله تعالى: (**فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ**)[٢٢٩].

ومنها: قوله تعالى: (**وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظيماً**)[٢٣٠].

ومنها: قوله تعالى: (**وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْريلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنينَ**)[٢٣١].

ومنها: قوله تعالى: (**وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ**)[٢٣٢].

ومنها: قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً**)[٢٣٣].

ومنها: قوله تعالى: (**وَاسْتَعينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبيرَةٌ إِلاّ عَلَى الْخاشِعينَ**)[٢٣٤].

ومنها: قوله تعالى: (**الَّذينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا في سَبيلِ اللهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ ...**)[٢٣٥].

ومنها: قوله تعالى: (**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابتِ ...**)[٢٣٦].

ومنها: قوله تعالى: (**فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقينَ**)[٢٣٧].

ومنها: قوله تعالى: (**إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ** ـ إلى قوله ـ **وَلِباسُهُمْ فيها حَريرٌ**)[٢٣٨].

ومنها: قوله تعالى: (**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلا تَفَرَّقُوا**)[٢٣٩].

ومنها: قوله تعالى: (**هُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً**)[٢٤٠].

---

٢٢٥ . هود (١١)، الآية ١٧.

٢٢٦ . الزخرف (٤٣)، الآية ٤٣.

٢٢٧ . الرعد (١٣)، الآية ٧.

٢٢٨ . التكاثر (١٠٢)، الآية ٨.

٢٢٩ . آل عمران (٣)، الآية ٦١.

٢٣٠ . الفتح (٤٨)، الآية ٢٩.

٢٣١ . التحريم (٦٦)، الآية ٤.

٢٣٢ . الرعد (١٣)، الآية ٤٣.

٢٣٣ . مريم (١٩)، الآية ٩٦.

٢٣٤ . البقرة (٢)، الآية ٤٥.

٢٣٥ . التوبة (٩)، الآية ٢٠.

٢٣٦ . إبراهيم (١٤)، الآية ٢٧.

٢٣٧ . مريم (١٩)، الآية ٩٧.

٢٣٨ . الحج (٢٢)، الآية ٢٣.

٢٣٩ . آل عمران (٣)، الآية ١٠٣.

ومنها: قوله تعالى: (**فِي بُيُوت أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرُ فيهَا اسْمُهُ**)[٢٤١].

ومنها: قوله تعالى: (**وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبُونَ**)[٢٤٢].

ومنها: قوله تعالى: (**فَإِمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ**)[٢٤٣].

ومنها: قوله تعالى: (**وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ**)[٢٤٤].

ومنها: قوله تعالى: (**فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى**)[٢٤٥].

ومنها: قوله تعالى: (**... وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنينَ الْقِتالَ ...**)[٢٤٦].

ومنها: قوله تعالى: (**... وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْر**)[٢٤٧].

ومنها: قوله تعالى: (**وَالْعَصْر**)[٢٤٨].

ومنها: قوله تعالى: (**... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ ...**)[٢٤٩].

ومنها: قوله تعالى: (**... قُلْ ما يَكُونُ لي أَنْ أُبَدِّلَهُ ...**)[٢٥٠].

ومنها: قوله تعالى: (**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا...**)[٢٥١]، الآية.

ومنها: قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابٌ جَهَنَّمَ**)[٢٥٢].

ومنها: قوله تعالى: (**السّابِقُونَ السّابِقُونَ * أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**)[٢٥٣].

ومنها: قوله تعالى: (**... وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ ...**)[٢٥٤].

ومنها: قوله تعالى: (**لَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها**)[٢٥٥].

ومنها: قوله تعالى: (**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَة مِنَ اللهِ**)[٢٥٦].

---

٢٤٠ . الفرقان (٢٥)، الآية ٥٤.

٢٤١ . التوبة (٩)، الآية ٣٦.

٢٤٢ . الشعراء (٣٦)، الآية ٢٢٧.

٢٤٣ . الزخرف (٤٣)، الآية ٤١.

٢٤٤ . طه (٢٠)، الآية ١١٥.

٢٤٥ . إبراهيم (١٤)، الآية ١٣.

٢٤٦ . الأحزاب (٣٣)، الآية ٢٥.

٢٤٧ . العصر (١٠٣)، الآية ٣.

٢٤٨ . العصر (١٠٣)، الآية ١.

٢٤٩ . آل عمران (١٠٣)، الآية ١٠٣.

٢٥٠ . يونس (١٠)، الآية ١٥.

٢٥١ . المجادلة (٥٨)، الآية ١٣.

٢٥٢ . البروج (٨٥)، الآية ١٠.

٢٥٣ . الواقعة (٥٦)، الآية ١٠ ـ ١١.

٢٥٤ . البقرة (٢)، الآية ١٧٧.

٢٥٥ . البقرة (٢)، الآية ١٨٩.

ومنها: قوله تعالى: (**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَهُ إلاّ مِتَحَرِّفاً لِقِتال أوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَة فَقَدْ باءَ بِغَضَب مِنَ اللهِ**)[٢٥٧].

وغير ذلك من الآيات الدالّة على إمامة الأئمّة الطاهرين كثير[٢٥٨].

فالمفهوم من تلك الآيات ومن قوله عزّ وجلّ: (**يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أطيعُوا اللهَ وَأطيعُوا الرَّسُولَ وَأولِي الأمْرِ مِنْكُمْ ...**)[٢٥٩] أنّ الله فرض طاعة أولي الأمر على الخلق وقرن طاعتهم بطاعته، كما في الآية، وأمر الناس بمتابعتهم، ونظم مصالح العالم بمطاوعتهم، وجعلهم حكّاماً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين ليميز الحقّ من الباطل، ويخرجهم بنور الهداية من ظلمات الضلالة، وينقذهم بالحجج البالغة من ورطات الجهالة، ويعصمهم بعروج معارج التقوى من دروج مدارج سقطات الهلكى، ويقيم الخلق على الصراط المستقيم والمنهاج القويم ويُؤَمِّن عليه أن يتطرّق إليه ميل عن الحقّ.

[شطر من الروايات في تبيين الآية ـ (صراط الذين أنعمت عليهم)ـ وفضائل أهل البيت (عليهم السلام)]

ثمّ بَيَّنَ النبي (صلى الله عليه وآله) أمر الخلافة والولاية وعيّنه وما أجمل الله تعالى في قرآنه فصّله بعبارات مختلفة وألفاظ متفاوتة في مواضع متعدّدة وأخبار لا يمكن حصرها ولا يطعن في رواتها ولا ينكر على صحّتها وذلك من طريقنا ما لا يعدّ ولا يحصى; لكن لا بدّ من ذكر بعضها وبيان بعض فضائله [أي: فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)] لما رواه أخطب خوارزم هو أنّه قال:

«قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة[٢٦٠]، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرّاً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه[٢٦١]، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة[٢٦٢] رسمٌ، ومن استمع [إلى] فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى

---

٢٥٦ . آل عمران (٣)، الآية ١٧٤.

٢٥٧ . الأنفال (٨)، الآية ١٦.

٢٥٨ . دلالة هذه الآيات المذكورة على المراد يعتمد على الأدلّة الروائية وشأن نزول هذه الآيات حيث ينبغي أن يُحقق كلّ منها في محلّه; وأورد الحاكم الحكساني في شواهد التنزيل كثير من هذه الروايات، وأشار المؤلف آنفاً إلى قسم منها، على أنّ فهم الارتباط بين هذه الآيات وأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار تفسير هذه الآيات على المستويين التنزيلي والتأويلي (أو البطوني) في الآيات الشريفة.

٢٥٩ . النساء (٤)، الآية ٥٩.

٢٦٠ . في كلا النسختين: «كثرته» والصواب ما أثبتناه من المصدر.

٢٦١ . في المصدر: غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

٢٦٢ . في المصدر: الكتاب.

كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثمّ قال: النظر إلى علي عبادة وذكره عبادة، ولا يقبل الله تعالى إيمان عبد إلاّ بولايته والبراءة من أعدائه»[٢٦٣].

فمن تلك الأخبار ما رواه محمّد بن الحسن الصفّار بإسناده عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام):

«إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) ذات يوم جالس إذا أتاه رجل طويل كأنّه نخلة فسلّم فردّ (عليه السلام)وقال: شبيه الجنّ وكلامهم. فمَنْ أنت يا عبد الله؟

فقال: أنا إلهام بن الهيم بن لاقيس بن إبليس.

فقال له رسول الله: ما بينك وبين إبليس إلاّ أبَوان.

فقال: نعم، يا رسول الله.

قال: فكم أتى لك؟

فقال: أكلت عمر الدنيا إلاّ أقلّه وأنا أيّام قتل قابيل هابيل غلام أفهم، وأنهى عن الإعتصام، وأطرق الآجام. وآمُرُ بقطيعة الأرحام، وأفسِدُ الطّعام.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): بئس سيرة الشيخ المتأمّل والغلام المقبل.

فقال: يا رسول الله، إنّي تائب.

قال له (صلى الله عليه وآله): على يد من جريتَ توبتُك من الأنبياء؟

قال: يدُ نوح (عليه السلام)وكنت معه في السَّفينة وعاتبتُه على دعائه على قومه حتّى بكا وأبكاني وقال: لا جرم إنّي على ذلك من النّادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. ثمّ كنت مع إبراهيم (عليه السلام) حين كاده قومه فألقوه في النار فجعلها الله برداً وسلاماً. ثمّ كنت مع يوسف حين حسده إخوته فألقوه في الجبّ فبادرتُه في قعر الجبّ فوضعته وضعاً رفيقاً، ثمّ كنت معه في السجن أُؤنسه فيه حتّى أخرجه الله تعالى منه. ثمّ كنت مع موسى (عليه السلام)وعلّمني سِفراً من التوراة وقال: إذا أدركتَ عيسى (عليه السلام) فَاقْرأ منّي السّلام، فلقيتُه وأقرأتُه السّلام مِن موسى وعلّمني سِفراً من الإنجيل وقال: إن أدركتَ محمّداً (صلى الله عليه وآله) فَاقْرأ منّي السّلام، فعيسى يا رسولَ الله، يَقرأ عليك السلام.

فقال النبي صلّى الله عليه: وعلى عيسى روح الله وكلمتُه مادامتِ السّماوات والأرض السلام. وعليك يا هام بما بلّغت السلام فارفعْ إلينا حوائجَك.

قال: حاجتي أن يُبقيك اللهُ لأمّتك ويُصلحُهم لك ويَرزقُهم الاستقامة لِوَصيّك من بعدك، فإنّ الأممَ السالفة إنّما هلكتْ بعصيان الأوصياء. وحاجتي يا رسول الله، أن تُعلّمني سُوَراً من القرآن أصلّي بها.

فقال رسول الله لعلي: يا علي، عَلّم هامَ وارفَقْ به.

---

٢٦٣ . المناقب للخوارزمي، ص ٣٢ ـ ٣٣.

فقال هام: يا رسول الله، من هذا الذي ضممتَني إليه، فإنّا معاشر الجنّ قد أُمرنا أن لا نكلّمَ إلاّ نبيّاً أو وصيَّ نبي.

فقال: يا هام، فَمن وجدتُم في الكتاب وصي آدم؟

قال: شيثُ بن آدم.

قال: فمن كان وصيُّ نوح؟

قال: سام بن نوح.

قال: فمن كان وصيُّ هود؟

قال: يوحنّا بن حنّان ابن عمّ هود.

قال: فمن كان وصيُّ إبراهيم؟ قال: إسحاق بن إبراهيم.

قال: فمن كان وصيُّ موسى؟ قال: يوشَعُ بن نون.

قال: فمن كان وصيُّ عيسى؟

قال: شَمْعُونَ بن حمون الصفا ابن عمّ مريم.

قال: فمن وجدتم في الكتاب وصيّ محمّد؟ قال: هو في التوراة أليّا.

قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): هذا أليّا هو عليّ وصيي.

قال الهامّ: يا رسول الله، فله اسم آخر غير هذا.

قال: نعم، هذا «حيدرة» فَلِمَ سألتَني عن ذلك؟

قال: إنّا وجدنا في كتاب الأنبياء أنّه في الإنجيل «هيدارا» قال: هو حيدرة قال: فعلّمْه علي (عليه السلام) سورةَ من القرآن، فقال هام: يا عليّ يا وصي محمّد أكتفي بما علّمتَني من القرآن؟

فقال: نعم يا هامّ، قليل القرآن كثير. ثمّ قال: فقام هام إلى النبي (صلى الله عليه وآله)فودّعه فلم يَعُدْ إلى النبي حتّى قُبِض (عليه السلام)»[٢٦٤]، انتهى.

وإنّما ذكرنا هذا الخبر مع طوله لكون مشتملا على لطائف ونُكت.

ومن طريق أهل الخلاف كثيرة.

منها: ما قال أحمد بن حنبل رفعه إلى أنس بن مالك، قال: قلنا لسلمان: إسأل النّبي (صلى الله عليه وآله) مَن وصيُّه، فقال له سلمان: يا رسول الله، من وصيُّك؟

فقال:

«يا سلمان، مَن وصيّ موسى؟ فقلت: يوشع بن نون، قال: قال وصيي ووارثي يقضي دَيني ويُنجِزُ مَوعدي، علي بن أبي طالب»[٢٦٥].

---

٢٦٤ . بصائر الدرجات، لمحمّد بن حسن الصفّار، ص ٢٨.

ومنها: ما رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في تفسير قوله تعالى: **(والنَّجمِ إذا هَوى)**[٢٦٦] عن ابن عبّاس، قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي (صلى الله عليه وآله) إذ انَقَضَّ كوكب فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«من انَقَضَّ هذا النجمُ في منزله هو الوصيُّ من بعدي فقام فتيةٌ من بني هاشم فَنَظروا فإذا الكوكب قد انقضَّ في منزل علي بن أبي طالب (عليه السلام)فقالوا: يا رسول الله، غُويتَ في حُبِّ علي، فأنزل الله تعالى: **(وَالنَّجْمِ إذا هَوى * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى * وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى)**[٢٦٧]»[٢٦٨].

ومنها: ما ذكره الثَّعلبي في تفسير قوله تعالى: **(قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى)**[٢٦٩] قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وأبناؤهما (عليهم السلام)»[٢٧٠].

ومنها: ما تكرّر من النبي (صلى الله عليه وآله) أيّام حياته إلى حين وفاتِه، رَوى أحمد بن حنبل بإسناده عن أبي سعيد الخُدري، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«إنّي قد تركتُ فيكم ما إنْ تمسَّكتُم به لَن تضلُّوا بعدي الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتابُ الله حبلٌ مَمدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيَّ الحوض»[٢٧١].

قال ابن نمر: عن الأعمش، قال: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) «فانظُرُوا كيف تَخلفوني فيهما»[٢٧٢].

ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

---

٢٦٥ . فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٦١٥، ح ١٠٥٢ وروى عنه ابن بطريق في العمدة، ص ٣٧ و٣٨، ونقل عنه في بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ١٩. وانظر أيضاً: الطرائف لابن طاووس، ص ٢٢; حلية الأبرار للبحراني، ص ٤٤٣.

٢٦٦ . النجم (٥٣)، الآية ١.

٢٦٧ . النجم (٥٣)، الآية ١ ـ ٥.

٢٦٨ . المناقب لابن المغازلي، ص ٣٦٨، رقم ٣٥٨.

٢٦٩ . الشورى (٤٢)، الآية ٢٣.

٢٧٠ . الكشف والبيان للثعلبي، ج ٨، ص ٣١٠.

٢٧١ . المسند لأحمد بن حنبل، ج ١٧، ص ١٠٩ ـ ١١٠; وانظر أيضاً: كتاب السنّة لابن أبي عاصم، ص ٦٣٠، الرقم ١٥٥٥; المناقب للخوارزمي، ص ١٥٤ مع اختلاف يسير.

٢٧٢ . المسند لأحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٧ وفيه: «فانظروني بمَ تخلفوني فيهما» بدل «فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

«النُّجومُ أمانٌ لأهل السماء فإذا ذهبتْ النجوم ذهبوا وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[٢٧٣].

ومنها: ما روى أخطب خوارزم بإسناده إلى ابن عبّاس، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو أنّ الرياض[٢٧٤] أقلام والبحور[٢٧٥]مداد والجنّ حسّاب والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب»[٢٧٦].

ومنها: ما رواه المزبور أيضاً عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«لمّا خَلَقَ اللهُ آدم ونَفخَ فيه من روحه عَطَس آدم فقال: الحمدُ لله فأوحى الله تعالى حمدني عبدي وعزّتي وجلالي لولا عبدان أُريد أن أخلُقَهما في دار الدنيا ما خلقتُك.

قال: إلهي فيكونان منّي؟

قال: نعم يا آدم، إرفعْ رأسَك وانظُر فرفع رأسه فإذاً مكتوب على العرش لا إله إلاّ الله محمّدٌ نبي الرحمة وعليٌ مُقيم الحجّة، من عَرفه زكى وطابَ ومن أنكر حقّه لُعِنَ وخابَ، أقسمتُ بعزّتي وجلالي لن أُدخِلَ النارَ من أطاعه وإن عصاني وأقسمت بعزّتي لن أُدخل الجنّة من عصاه وإن أطاعني»[٢٧٧].

ومنها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوران[٢٧٨] بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزئين فجزءٌ أنا وجزءٌ عَلي»[٢٧٩].

ومنها: ما روى عن أبي الحمراء أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى يحيى بن زكريّا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب»[٢٨٠].

ومنها: ما ذكر أيضاً في مسند أحمد بن حنبل أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي:

«لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق»[٢٨١].

---

٢٧٣ . فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٦٧١ ومع اختلاف يسير في المستدرك للحاكم، ج ٢، ص ٤٤٨ و ج ٣، ص ١٤٩ و٤٥٧ وفرائد السمطين للحموئي، ج ١، ص ٤٥ وج ٢، ص ٢٥٢.

٢٧٤ . في المصدر: «الغياض» جمع الغيضة وهي الشجر الملتفّ.

٢٧٥ . في المصدر: «البحر».

٢٧٦ . المناقب للخوارزمي، ص ٣٢، الرقم ٢.

٢٧٧ . المناقب للخوارزمي، ص ٣١٨.

٢٧٨ . في المصدر: نوراً.

٢٧٩ . فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٦٦٢; وانظر أيضاً: العمدة لابن بطريق، ص ٨٧ ـ ٨٨; المسترشد للطبري، ص ٦٢٩ ـ ٦٣٠; الطرائف لابن طاووس، ص ١٦; نهج الحقّ وكشف الصدق، ص ٢١٢.

٢٨٠ . المناقب للخوارزمي، ص ٨٣، رقم ٧٠.

وهذا مذكور في الجمع بين الصحيحين وفي الجمع بين الصحاح الستّة.

ومنها: ما ذكر من مسنده من عدّة طرق أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال:

«من آذى علياً فقد آذاني أيّها الناس، مَن آذى علياً بعثَ يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً»[٢٨٢].

ومنها: ما قال الجاحظ ـ مع أنّه من أعظم الناس عداوة لأمير المؤمنين (عليه السلام) ـ : صدق علي في قوله:

«نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحدٌ»[٢٨٣].

فكيف يقاس بقوم فيهم رسول الله[٢٨٤] وذو الجناحين جعفر وسيّد الوادي عبد المطّلب[٢٨٥].

ومنها: ما رواه الخوارزمي عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«عَلِيٌّ يوم القيامة على الحوض لا يدخل إلاّ من جاء بجواز من علي بن أبي طالب»[٢٨٦].

وله (صلى الله عليه وآله) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جبرئيل أن يجلس على باب الجنّة فلا يدخلها إلاّ من معه براءة من علي بن أبي طالب»[٢٨٧].

ومنها: ما روي عن الإمام البخاري بإسناده عن سعد بن وقاص أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)خرج إلى تبوك فاستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال:

«ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي»[٢٨٨].

---

٢٨١ . المسند لابن حنبل، ج ١، ص ٩٥، ١٢٨; ج ٦، ص ١٩٢، رقم ٦٤٢; فقد روى هذه الرواية جمع غفير من الحفّاظ. انظر: التعليقات على المناقب لابن المغازلي، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٧، طبع المجمع العالمي للتقريب.

٢٨٢ . المسند لابن حنبل، ج ٣، ص ٤٨٣.

٢٨٣ . عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٧١; شرح الأخبار للقاضي نعمان، ج ٢، ص ٢٠٢; كنز العمّال، ج ١٢، ص ١٠٤ وبمعناه في نهج البلاغة، خطبة ٢.

٢٨٤ . وفي المصدر: والأطيبان عليّ وفاطمة والسبطان الحسن والحسين والشهيدان حمزة.

٢٨٥ . انظر: نهج الحقّ وكشف الصدق، ص ٢٥٣; كشف الغمّة للإربلي، ج ١، ص ٢٩ ـ ٣١ قال: «نذكر شيئاً ممّا يتعلّق بفضل بني هاشم وشرفهم وما لهم من المزايا التي فضّلوا بها على الناس ومن ذلك رسالة وقعت إليّ من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أذكرها مختصراً ...»; ينابيع المودّة لذوي القربى، ج ١، ص ٤٦٠ ـ ٤٥٩; كشف اليقين للعلاّمة الحلّي، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

٢٨٦ . المناقب للخوارزمي، ص ٣٢٠، رقم ٣٢٤ مع تفاوت يسير. انظر أيضاً: العمدة لابن بطريق، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ وص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

٢٨٧ . المناقب للخوارزمي، ص ٣٢٠، رقم ٣٢٤.

٢٨٨ . الصحيح للبخاري، ج ٥، ص ١٢٩.

ومنها: ما رواه المسمّى عندهم صدر الأئمّة ـ وهو أخطب خوارزم موفّق بن أحمد المكّي ـ في كتابه عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان المحمّدي، قال: «دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله) وإذاً الحسين على فخذه وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه ويقول:

أنت سيّد ابن سيّد أبو سادة أنت إمام ابن إمام أبو الأئمّة أنت حجّةٌ ابنُ حجّة أبو حُجَج تسعة من صُلبك تاسعُهم قائمهم»[٢٨٩].

ومنها: ما قال ذلك فيه من أنّ أبا إسحاق حدّثني عن الحرث وسعيد بن بشير، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أنا واردُكم وأنت يا علي السّاقي، والحسن الذائد[٢٩٠]، والحسين الآمر، وعلي بن الحسين الفارط[٢٩١]، ومحمّد بن علي الباشر، وجعفر بن محمّد السائق، وموسى بن جعفر مُحصي المُحبّين والمُبغضين وقامعُ المنافقين، وعلي بن موسى زينُ المؤمنين، ومحمّد بن علي منزل أهل الجنّة[٢٩٢] في درجاتهم، وعلي بن محمّد خطيب شيعتهم ومزوِّجهم الحورَ العين، والحسن بن علي سراج أهل الجنّة يستضيؤون به، والمهدي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يُأذَن إلاّ لمن يَشاء ويَرضى»[٢٩٣].

ومنها: ما رقم في مناقب ابن مردويه يرفعه إلى محمّد بن أبي بكر، قال: حدّثتني عائشة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:

«الحقّ مع علي وعلي مع الحقّ لن يفترقا حتّى يردا على الحوض»[٢٩٤].

ومنها: ما بيّن في مناقب الخوارزمي يرفعه إلى الحسن بن أبي ليلى، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«ستكون من بعدي فِتنةٌ فإذا كان ذلك فَألزموا علىَ بن أبي طالب فإنّه الفارقُ بين الحقّ والباطل»[٢٩٥].

ومنها: ما سُطر في مناقب المزبور رافعاً إلى ابن عبّاس عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «لمّا نزلت (**... وَتَعِيَها أُذُنٌ واعية**)[٢٩٦]قال النبي (صلى الله عليه وآله):

---

٢٨٩ . مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٩٤ وانظر أيضاً: كتاب سليم بن قيس، ص ٤٦٠.

٢٩٠ . الذائد: جمع ذُوَّد بمعنى الحامي.

٢٩١ . الفارط: السابق.

٢٩٢ . منزل أهل الجنّة: مُقسم درجات الجنّة.

٢٩٣ . مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٩٤ وعنه في بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ١٧.

٢٩٤ . المناقب لابن مردويه، ص ١١٥ ـ ١١٦، رقم ١٤٠.

٢٩٥ . المناقب للخوارزمي، ص ١٠٥، الرقم ١٠٨.

٢٩٦ . الحاقة (٦٩)، الآية ١٢.

«سألت ربّي أن يجعلها أذن علي»[٢٩٧]. قال علي: «ما سمعتُ شيئاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلاّ حفظتُه ووعيتُه ولم أنسَه»[٢٩٨].

ومنها: ما ذكره في مناقب المذكور أيضاً يرفعه إلى عبد الله بن بُريدة، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«لكلّ نبي وصي ووارث وإنّ وصيي ووارثي علي بن أبي طالب (عليه السلام)»[٢٩٩].

ومنها: ما نقل من مناقب المرقوم أيضاً رافعاً إلى ابن عبّاس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«لمّا عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله علي حبيب الله الحسن والحسين صفوة الله فاطمة أمَةُ الله، على مُبغضيهم[٣٠٠] لعنةُ الله»[٣٠١].

ومنها: ما زُبرَ [أي: كُتِبَ] في مناقب ابن المغازلي يرفعه إلى جابر بن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ أنزل قطعة من نور فأسكنَها في صُلب آدم فساقَها حتّى قسَّمها جزئين، فجعل جزءً في صُلب عبد الله وجزءً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبيّاً وأخرج عليّاً وصيّاً»[٣٠٢].

ومنها: ما نقل من مناقب ذلك أيضاً رافعاً إلى أبي ذرّ الغفاري، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«من ناصب عليّاً الخلافة بعدي فهو كافر وقد حارب الله ورسوله، ومن شكّ في علي فهو كافر»[٣٠٣].

ومنها: ما ذكره الثعلبي في تفسير قوله تعالى: (**مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَومَئِذٍ آمِنُونَ**)[٣٠٤] بحذف الإسناد عن أبي عبد الله الهذلي، قال: دخلت على علي (عليه السلام) فقال:

«يا أبا عبد الله، ألا أنبّئُك بالحَسنة التي مَن جاء بها أدخله الله تعالى الجنّة والسيّئة التي من جاء بها أكبَّه الله تعالى في النار ولم يقبل منه عملا؟ قلت: بلى قال: الحسنةُ حُبّنا والسيّئة بُغضنا»[٣٠٥].

---

٢٩٧ . نفس المصدر، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، الرقم ٢٧٧.

٢٩٨ . نفس المصدر، ص ٢٨٣، الرقم ٢٧٨.

٢٩٩ . نفس المصدر، ص ٨٥، الرقم ٧٤ وفيه: وإنّ علياً وصيّي ووارثي.

٣٠٠ . في المصدر: مبغضهم.

٣٠١ . نفس المصدر، ص ٣٠٢، الرقم ٢٩٧.

٣٠٢ . المناقب لابن المغازلي، ص ١٦٠، رقم ١٣٥.

٣٠٣ . نفس المصدر، ص ١٠٨، رقم ٧٠.

٣٠٤ . النمل (٢٧)، الآية ٨٩.

٣٠٥ . الكشف والبيان، ج ٧، ص ٢٣٠.

ومنها: ما نقل من مناقب الخوارزمي يرفعه إلى أبي سعيد الخُدري، قال: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) يوم غدير خمّ دعى الناس إلى علي (عليه السلام) وذلك يوم الخميس فأخذ بضبعيه[٣٠٦] فرفعه حتّى نظر الناس إلى بياض إبط رسول الله[٣٠٧] وقال:

«أو لستُم تَعلمون أو لستم تشهدون أنّي أولى لكلّ مؤمن مِنْ نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه[٣٠٨]، ثمّ لم يفترقا حتّى نزلت هذه الآية: (**... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...**)[٣٠٩]، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتي والولاية لعلي (عليه السلام)، ثمّ قال: اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله»[٣١٠]، انتهى.

كرّر (عليه السلام) القول وأكّده بملأ من الحاضرين من أقطار الأرضين وأطراف العالمين حتّى قال عمر: «بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحتَ مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة»[٣١١].

وهذا الحديث من أوضح الدلائل على الولاية والخلافة; لأنّ المولى بمعنى الولي كما قال الله تبارك وتعالى: (**... النّار هِيَ مَوْلاكُمْ ...**)[٣١٢]، أي: أولى بكم فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله، صلّى الله عليك وعلى آلك، أتأذن لي أن أقول أبياتاً؟ قال (صلى الله عليه وآله): قل، فقام على قطعة رفيعة من الأرض، فقال: يا معاشرَ قريش إسمَعُوا شهادةَ رسول الله (صلى الله عليه وآله):

يُناديهم يومَ الغدير نبيُّهم *** بخمّ وأسمع بالنّبي مُناديا
وقد جاءه جبريل من عند ربّه *** بأنّك معصوم فلا تك وانيا
وبَلّغهم ما أنزل الله ربُّهم *** إليك ولا تخشى هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفّه *** بكفّ علي مُعلن الصّوتِ عاليا
وقال ومن مولاكم ووليّكم *** فقالوا ولم يَبدوا هناك التّعاميا
إلهك مولانا وأنت وليّنا *** ولن تَجِدْنَ منّا لك اليومَ عاصيا
فقال له قم يا علي فإنّني *** رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

---

٣٠٦ . في المصدر: بضبعه.

٣٠٧ . في المصدر: ابطه.

٣٠٨ . في المصدر: ليس «وقال إلى ثمّ لم يفترقا».

٣٠٩ . المائدة (٥)، الآية ٣.

٣١٠ . المناقب للخوارزمي، ص ١٣٥، الرقم ١٥٢.

٣١١ . المناقب للخوارزمي، ص ١٥٦، رقم ١٨٤; المسند لأحمد بن حنبل، ج ٣٠، ص ٤٣٠، رقم ١٨٤٧٩; الأمالي للصدوق، ص ٥٠; كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥٦; الإرشاد للمفيد، ج ١، ص ١٧٧; كنز الفوائد للكراجكي، ص ٢٣٢; العمدة لابن بطريق، ص ١٠٦، ١٧٠; تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٨٤; تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤; بشارة المصطفى، ص ٤٠٢; إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ١، ص ٢٦٢، ٣٣٠.

٣١٢ . الحديد (٥٧)، الآية ١٥.

فمن كنت مولاه فهذا وليُّه *** فكونوا له أنصار صدق مَواليا
هنالك دَعى اللّهمّ والي وليَّه *** وَكُنْ لِلّذي عادا عليّاً مُعاديا
فيا ربِّ فَانصُر ناصريه لِنَصره *** إمامَ هُدى كالبَدر يَجلو الدَّياجِيا

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتَنا بلسانك»[٣١٣].

ومنها: رواية حذيفة ابن أسيد، قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول على منبره:

«معاشر الناس، إنّي[٣١٤] وإنّكم واردون عليّ الحوض أعرض ما بين بصرى وصنعا، فيه عدد النجوم قدحان من فضّة وإنّي سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّه الثقل الأكبر كتاب الله[٣١٥] فاستمسكوا به لن تضلّوا ولا تبدّلوا في عترتي أهل بيتي فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض [معاشر الناس، كأنّي على الحوض][٣١٦] أنتظر من يرد عليَّ منكم وسيؤخذ[٣١٧] أناس دوني فأقول: [٣١٨]منّي ومن أمّتي. فيقال: [٣١٩]هل شعرت بما عملوا؟ إنّهم ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم، ثمّ قال: أُوصيكم[٣٢٠] عترتي خيراً ـ ثلاثاً ـ أو قال: في أهل بيتي فقام[٣٢١] سلمان فقال: يا رسول الله، ألا تخبرني عن الأئمّة بعدك؟ أما هم من عترتك؟ فقال: نعم، الأئمّة بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل، تسعة من صلب الحسين، أعطاهم الله تعالى علمي وفهمي فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم واتّبعوهم فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم»[٣٢٢]، انتهى.

فَعَلِمنا بهذه الدلائل الساطعة والحجج القاطعة والبراهين الواضحة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) اختار عليّاً للخلافة والولاية في عهده من بعده من بين أفاضل أصحابه وأكابر أقربائه، واتّخذه أخاً

---

٣١٣ . الأمالي للصدوق، ص ٦٧; خصائص الأئمّة للرضي، ص ٤٢; المسترشد للطبري، ص ٤٦٩; الإرشاد، ج ١، ص ١٧٧; كنز الفوائد للكراجكي، ص ١٢٣; مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج ٢، ص ٢٣٠; كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦; مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه، ص ١٢١; ٢٤٠; إعلام الورى بأعلام الهدى، ج ١، ص ٢٦٢; المناقب للخوارزمي، ص ١٣٦.

٣١٤ . في المصدر: إنّي فرطكم وإنّكم واردون على الحوض اعرض ما بين بصري وصنعا عدد النجوم قدحانا.

٣١٥ . في المصدر: + سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم.

٣١٦ . ليس موجود في المصدر.

٣١٧ . في المصدر: سوف تأخر.

٣١٨ . في المصدر: + يا ربّ.

٣١٩ . في المصدر: + يا محمّد.

٣٢٠ . في المصدر: + في.

٣٢١ . في المصدر: + إليه.

٣٢٢ . كفاية الأثر للخزاز القمي، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

ووصيّاً وإماماً وهادياً وعالماً وعلماً بادياً وجَعَله أولى الناس بالناس حتّى قال (صلى الله عليه وآله) في حقّه:

«من جَحَد عليّاً إمامتَه من بعدي فكأنّما[٣٢٣] جحد نبوّتي [ومن جحد نبوّتي][٣٢٤] فقد جحد الله ربوبيّته»[٣٢٥] وقال أيضاً:

«علي خيرُ البشر مَن أبى فَقد كفر»[٣٢٦] وقال له (عليه السلام):

«من جَحَدك فقد جحدني ومن والاك فقد والاني ومن عاداك فقد عاداني ومن أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني»[٣٢٧]، انتهى.

فالمفهوم من الآيات والأخبار أنّه يجب التمسّك بهم وأنّهم قادة الأمم وسادة العرب والعجم، ومَن تمسّك وتشبّث بهم كان من الفائزين ومن تخلّف عنهم كان من الهالكين، وأنّ الفرقة الناجية هم الإمامية الاثنا عشرية كيف لا يكون كذلك؟! مع أنّ عترة الرسول هم سفينة النجاة والأئمّة الهداة فلا نجاة إلاّ باتّباعهم وأنّ الحقّ فيهم ومنهم وإليهم وهم أهلُه ومعدنُه ويدور معهم حيث ما داروا وميراث النبوّة عندهم وإياب الخلق إليهم.

فالحاصل: أنّ إمامة الأئمّة صار ممّا لا شكّ فيه ولا ارتياب، لولا خوف الإكثار لأوردنا لك الأشعارَ التي أنشئت في يوم الغدير وقبله وبعده في حقّ أمير البَرَرة وقاتل الكفرة الفَجَرة، بل الآيات والأخبار الواردة من علماء أهل السنّة في مناقب الأئمّة الأطهار، مع أنّها في مرتبة لا يمكن ضبطها ولا إحصائه فلمّا نصب رسول الله عليّاً للخلافة كان الشّيوخ الضالّة والتابعون لهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ويروُون عن رسول الله ما يدلّ على إعلاء درجته وارتقاء منزلته وتقديمه في الخلافة كقوله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام):

«فإنّه مولاكم فأجيبوه[٣٢٨] وكبيركُم فاتّبعوه وعالِمكم فأكرمُوه وقائدكم إلى الجنّة فعزّرَوه وإذا دعاكم فأجيبُوه وإذا أمركم فأطيعوه; فأحِبُّوه بحبّي وأكرموه بكرامتي ما قلت لكم [في علي][٣٢٩] إلاّ ما أمرني ربّي جلّت عظمته»[٣٣٠]، انتهى.

---

٣٢٣ . في المصدر: فإنّما.

٣٢٤ . من المصدر.

٣٢٥ . الاعتقادات للصدوق، ص ١٠٤ وعنه في بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٦٥.

٣٢٦ . مناقب الإمام أمير المؤمنين لمحمّد بن سليمان الكوفي، ج ٢، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٤; المسترشد للطبري، ص ٢٧٢ و٢٧٥ و٢٧٩ و٢٨٢; مائة منقبة لابن شاذان، ص ١٧٠; مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج ٢، ص ٢٦٥ وعنه بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣٠٦.

٣٢٧ . الاعتقادات للصدوق، ص ١٠٤.

٣٢٨ . في المصدر: احبوه.

٣٢٩ . من المصدر.

٣٣٠ . مائة منقبة لابن شاذان، ص ٦٣; كنز الفوائد للكراجكي، ص ٢٠٩.

وكانوا يُنزلونَه منزلتَه ويُعظّمون كما ينبغي له وبكلّ ما يسمعون منه يعترفون ومن أنوار أنفاسه يقتَبِسون ومن فوائده يلتقطون وبأمره يسلّمون وبمكانه يستظهرون وبجاهه ووجاهته يستبشرون حتّى كان أبو بكر يُديم النظر إلى وجه علي (عليه السلام) كلّما رآه فلمّا قيل له في ذلك، قال: سمعت رسول الله يقول:

«النَّظر في وَجه علي (عليه السلام) عبادة»[٣٣١].

وقال عمر في يوم الغدير بعد ثبوت الخلافة لعلي (عليه السلام): «بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة»[٣٣٢] وكان كلّما لاقاه يعظّمه ويكرّمه ويقول:

«لا أبقاني الله بعدك»[٣٣٣] و«لولاك لافتضحنا»[٣٣٤] و«لولاك[٣٣٥] لَهَلك عمر»[٣٣٦] و«عَجِزت النساء أن يَلِدْنَ مثلَ علي بن أبي طالب»[٣٣٧].

وغير ذلك ممّا لا يُحصى وكان الشيخان يقولان:

والله لا نرضى أن تكون النبوّة والإمامة في بيت واحد، فلم يَقدِرا أن يظهرا لِعدم وجود ناصر ومُعين لهما إلى أن نقل رسول الله (صلى الله عليه وآله)من دار الفناء إلى دار البقاء ومضت الأيّام إلى أن سَبّوا الإمام على رؤوس منابر الإسلام بملأ من الخواص والعوام وفي ذلك المقام اضطرب الأنام وتَزَلْزَلَ الأقدام وبدّلوا أمرَه وغيّروا حُكمَه واختاروا عليه غيرَه وجعلوه رابع الأربعة ولم يرضوا به حتّى نكثوا بيعتَه وطعَنوا فيه أهل النَكث وخرجوا عليه أهل البغي والفساد. لم يكن لأحد في ذلك إنكار ولا إقبال ولا إدبار وتركوا ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

«لمّا أُسري بي إلى السماء السابعة لمّا دخلت الجنّة وقعدتُ على رَفرَف من رَفارف النور رأيت على ورقة أسمر بخطّ أخضر: إنّي افترضتُ محبَّة علي على أُمّتك ألا فبلّغهم عنّي فَرَضَ الله تعالى محبّة آل محمّد على أُمّته حتّى لا تقبل صلاة مسلم إلاّ بذكر الصلاة على محمّد وآل محمّد»[٣٣٨]، انتهى.

فغيّروا فرضَه ومهّدوا لِمَن بعدهم أن يلعنوه على منابر الإسلام ثمّ جعلوا مكان الحبّ بغضاً ومكان البغض حبّاً فأحبّوا أعداءهم وأبغضوا أولياءهم وقد قال الله تعالى: (**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا**

---

٣٣١ . المناقب للخوارزمي، ص ٣٦٢، الرقم ٣٧٥.

٣٣٢ . المسند لابن حنبل، ج ٣٠، ص ٤٣٠; المناقب لابن المغازلي، ص ١٩ ـ ٢٠.

٣٣٣ . مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج ١، ص ٣١١.

٣٣٤ . نفس المصدر.

٣٣٥ . في المصدر: لولا علي.

٣٣٦ . مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب، ج ١، ص ٣١١.

٣٣٧ . بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٦٧٩، ج ٤٠، ص ٢٧٧.

٣٣٨ . لم أعثر عليه في مصدر آخر ولكن أشار بمضمونه المجلسي. راجع: بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٢٦٣.

تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ...)[٣٣٩] وقال: **(... وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ)**[٣٤٠] وأنكروا ما أقرّوا قبل ذلك وقرّروا لِمن بعدهم من الأئمّة الضالّة، سفكَ دمائِهم ودماءَ محبّيهم وشيعتهم وهتكَ أستارِهم وقتلَ أولادِهم وأخيارَهم كَفِرعُون بني إسرائيل فما هم إلاّ من الذين ضلّ سعيُهم في الحياة الدنيا وَهُم يَحسبُون أنّهم يُحسِنُون صنعاً.

فالمحصول: أنّه لا يتمّ الإقرار بالله ورسوله والأئمّة المعصومين من ذرّيّته واليوم الآخر إلاّ بالبراءة من الكفّار المشركين بالله فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لقوله تبارك وتعالى: **(وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ...)**[٣٤١] والظلم عبارة عن: وضع الشيء في غير موضعه، فمن ادّعى الإمامة وليس بإمام فهو الغاصب، الظالم، الملعون، ومن تبع هذا الإمام واعتقد بكلامه ووضع الإمامة في غير أهلها فهو أيضاً ظالم ملعون كافر.

فالثابت المحقّق أنّ المراد من صراط المُنعَم عليهم هو: سبيل الأئمّة الطاهرين المطهّرين المقرّبين المعصومين. فللطالب النجاة والحقّ والراغب عن الخلق لا يخفى عليه ما ذكرناه إذا نظر بعين الإنصاف لا الجهل ولا الاعتساف، فرحم الله رجلا أنصف ولم يتعصّب ولم يُكذّب رسولَ الله لِهَوى نفسه ولم يُنكر الحقّ إذا عرفه ووضع كلّ شيء موضعه فهذا القدر كاف للهداية والله المنجي من الضلالة والعماية.

اللّهمّ اجعلنا من مواليهم المخلصين ومحبّيهم المفلحين ومن المتبرّئين من أعدائهم المضلّين، بل اجعلنا من المصطفين الأخيار والصالحين الأبرار والسابقين إلى المكرمات والمسارعين إلى الخيرات والعاملين للباقيات الصالحات والساعين إلى رفيع الدرجات ومن أنصار وأشياع قائم المعصومين ومن المستشهدين بين يدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا وهو لسان الصدق ومُظهر الحقّ المبين والحجّة على البَريّة أجمعين بمحمّد وعترته الطاهرين عليهم أفضل الصلوات وأنمى التحيّات وأزكى التّسليمات من الآن إلى يوم الدين ولعنة الله على أعاديهم وظالميهم وغاصبي حقوقهم المضلّين من الأوّلين والآخرين.

فالحاصل: أنّ الواجب لكلّ امرئ بل الأوجب أن لا يفعل شيئاً ولا يعمل أمراً إلاّ لتقرّبه إلى الله تعالى ولِطلب مرضاته سيّما في الأشياء المهمّة كطلب الهداية إلى سبيل الحقّ حتّى يوفّقه الله تعالى ويُعينُه، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)لبعض أصحابه في يوم:

«يا عبد الله، أحبِبْ في الله وأبغِضْ في الله ووالِ في الله وعاد في الله، فإنّه لا تُنال ولاية الله تعالى إلاّ بذلك ولا يجد[٣٤٢] طعمَ الإيمان وإن كثرت صلاتُه وصيامُه حتّى يكون كذلك. فقد صارت

---

٣٣٩ . الممتحنة (٦٠)، الآية ١.

٣٤٠ . الممتحنة (٦٠)، الآية ٩.

٣٤١ . هود (١١)، الآية ١١٣.

٣٤٢ . في المصدر: + رجل.

مؤاخاة الناس يومكم هذا، أكثرها في الدنيا; عليها يتوادّون وعليها يَتباغَضون وذلك لا يُغني عنهم من الله تعالى شيئاً».

فقال الرجل: يا رسول الله فكيف لي أن أعلم أنّي قد واليتُ وعاديتُ في الله، ومَن وليُّ الله حتّى أواليه ومن عَدوّه حتّى اُعاديه؟ فأشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال:

أترى هذا؟ قال: بلى، قال: فإنّ وليَّ هذا وليُ الله فَوالِه وعدوَّ هذا عدوٌّ الله فَعادِه، والِ ولي هذا ولو أنّه قاتلُ أبيك ووَلدك وعادِ عدوَّ هذا ولو أنّه أبوك وولدك»[٣٤٣]، انتهى.

و«الإنعام» من النعمة وهي في اللغة الحالة التي يستلذّ به الإنسان، ثمّ نقل عن ذلك واستعمل فيما يستلذّ به مجازاً من قبيل تسمية الحال باسم المحلّ. وأمّا نعماؤه جلّ وعلا وإن كان لا يمكن حصرها بالتفصيل; لأنّها غير متناهية كما قال الله تبارك وتعالى: (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها...**)[٣٤٤] لكنّ أنواعها ثمانية; إذ هي إمّا دنيوية أو اُخروية، وكلّ منهما إمّا مُوهبية أو كسبية، وكلّ منهما إمّا روحانية أو جسمانية.

أمّا الدنيوي الموهبي إمّا روحاني كالمدارك والإدراك، أو جسماني كالأعضاء والجوارح.

أمّا الدنيوي الكسبي إمّا روحاني كتحلية النفس بالأخلاق الزّكية واتّصافها بالصفات العَلية، أو جسماني كتزيّن البدن بالألبسة الفاخرة والهَيئات المطبوعة.

أمّا الاُخروي الموهبي إمّا روحاني كغُفران الذنوب من غير سبق توبة، أو جسماني كالأنهار من اللبن والعسل والشراب في الجنّة.

أمّا الاُخروي الكسبي إمّا روحاني كغفران ذنوبنا [و]العفو عن جرائمنا بعد حصول التوبة، أو جسماني كاللذّات الجسمانية الحاصلة بفعل الطاعات والعبادات. والمراد هنا هو ما يكون وصلة إلى نيل لمراتب العليّة من العلمية والعملية ووسيلة إلى الفوز بالسعادات السَّنيَّة والكرامات السَّرمدِيَّة، فإنّ ما عدا ذلك كان الموافق والمنافق كلاهما مشتركين فيه.

ومن القرّاء من جعل «مَنْ» الموصول مقام ذلك فقال: صراط من أنعمت عليهم[٣٤٥].

(غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّآلِّينَ)

---

٣٤٣ . الأمالي للصدوق، ص ٦١; عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٦٢; معاني الأخبار، ص ٣٩٩; بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٣٦.

٣٤٤ . النحل (١٦)، الآية ١٨.

٣٤٥ . وهي قراءة عمر بن الخطّاب وعمرو بن عبد الله الزبيري وروي ذلك عن أهل البيت (عليهم السلام); انظر: مجمع البيان، ج ١، ص ١٠٥.

وهذا إمّا بدل من الموصول [أي: الذين أنعمت عليهم] بدل الكلّ من الكلّ فيكون من قبيل كون البدل والمبدل منه مختلفين في التعريف والتنكير كما في نحو قوله عزّ وجلّ: (**... بالنّاصِيَةِ * ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ**)[٣٤٦] ضرورة أنّه ممّا توغّلت في الإبهام والتطابق بين البدل والمبدل عنه ليس شرطاً كما كان شرطاً في الصفة والموصوف حتّى نحتاج إلى التكلّف. ونظير ذلك ما ذكره صاحب ***الكشّاف*** في قوله تعالى: (**شديد العقاب**) بعد قوله تعالى: (**من الله العزيز العليم**) بأنّه بدل من الله لا نعتٌ له لأنّه نكرة[٣٤٧]. فالمعنى أرشِدْنا إلى سبيل من أنعمتَ عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك الذين سَلَموا عن الغضب والضلال.

أو صفة [من الموصول] فحينئذ لا بدّ من بيان مطلب وهو: أنّ «غير» كان في الأصل موضوعاً للوصفية وهو دالّ على ذات مبهمة من جهة حصول معنى المغايرة فيها ثمّ جرّدوه عن الوصفية وحملوه على «إلاّ» في الاستثناء واستعملوه كاستعماله وأعربُوا الاسمَ الذي يليه كالإعراب الواقع بعد «إلاّ»، مثلا في كلام الموجب نصبوا المستثنى به لمشابهته بالمفعول في كونه فُضلةً ومأتياً بعد إتمام الكلام كالتميز ونحوه، نحو: «جاءني القوم غيرَ زيد»، وفي كلام غير الموجب الذي كان المستثنى مقدّماً على المستثنى منه أيضاً جعلوه منصوباً دائماً لما تقدّم، ولا يجوز أن يكون مرفوعاً على البدل من ذلك; لامتناع تقديم البدل على المبدل منه، نحو: «ما جاءني غيرَ زيد أحد». والذي كان فيه مؤخّراً عنه جوّزوا فيه الرفع والنصب كليهما أمّا الأوّل للبَدليّة والثاني لما ذكرناه، نحو: «جاءني أحد غيرُ زيد» وفي [الاستثناء] المنقطع نصبوا ذلك لذلك، ولا يجوز الرفع لفِقدان شرط البدل وهو عبارة عن كونه من جنس المبدل منه، كما هو منصور الحجازيين. واستعملوا «سِوى» بالقصر استعمال «غير» في أنّه يستثنى به والفرق بينهما أنّ «سِوى» ظرف مكان في الأصل كالجِهات السِّتّ لوقوعه صلة للموصول; لأنّ معنى «جاءني الذي سواك»: مَنْ استقرّ مكانك، بخلاف «غير» فلا يلي سوى العوامل; لأنّ عامله وناصبه مقدّر وهو الظرفية فكيف يجوز أن يلي معمول عاملين في حالة واحدة; فلذا كان قولهم: «مررتُ برجل سِواك»، حسن وقولهم: «مررت بسواك» قبيح.

ولمّا تدبّرت فيما ذكرنا لك وعلمت أنّ «غير» كان في اللغة صفةً فاعلم أنّه لا يقع صفة إلاّ للنكرة وإن أُضيف إلى المعرفة; لأنّه موضوع على ما ينافي التعريف، ولم تكن الإضافةُ معرفةً له; وذلك لأنّك لو قلت: «مررت بغيرك» فكلّ من عدا المخاطب فهو غيره، اللّهمّ إلاّ أنّه إذا أُضيف إلى ما له ضدّ واحد، فيكون معرفةً نحو قولهم: «عليك بالقيام غير القعود» ونحو ذلك. وحكم «مثل» وشبهه كحكم «غير» فيما ذكرناه; لأنّك إذا قلت: «مررت بمثلك» غير مختصّ بواحد دون واحد بل يشتمل جميع من يتّصف بهذه الصفة.

---

٣٤٦ . العلق (٩٦)، الآية ١٥ ـ ١٦.

٣٤٧ . تفسير الكشّاف، ج ٤، ص ١٤٩.

ومنهم من جعل «غير» صفةً للموصول [أي: الذين أنعمت...] ذاهباً إلى التأويل في الموصول وقال بأنّه جار مجرى العهد الذهني; إذ لم يقصد من المُنعَم معهوداً بل يقصد الإبهام وعدم الاختصاص بأُمّة دون أُخرى، حتّى يصحّ أن تكون النكرةُ صفةً لذلك. ويمكن إجراء هذا المقال في سائر المعارف أيضاً، كما في نحو قول الإمام (عليه السلام):

ولقد أمُرُّ على اللّئيمِ يَسُبُّني *** فمضيتُ ثُمَّةَ قُلتُ لا يَعنيني[٣٤٨]

(وَلا الضّالّينَ)

عطف على البدل أو الصفة. ولفظ «لا»، يؤكّد النفي الذي يدلّ عليه «غير» فكأنّه قال: «لا المغضوب عليهم ولا الضالّين» والألف واللام في المعطوف والمعطوف عليه، موصول اسمي والصفة الصريحة صلة لها والجارّ والمجرور [أي: عليهم] مرفوع المحلّ على أنّه قائم مقام الفاعل بخلاف ذلك السابق [أي: «عليهم» في الذين أنعمت عليهم] إذ محلّ ذلك هو النصب.

ومن القرّاء من قرأ «غير» بالنصب على أنّه حال من الضمير المجرور والعامل فيه هو الفعل المذكور[٣٤٩].

ومنهم: من قال: إنّه منصوب على أنّه مفعول للفعل المقدّر وهو أعني[٣٥٠]. وقد روي بالرفع[٣٥١].

ومنهم: من قرأ «غير الضالّين».

و«الغضب» عبارة عن ثَوَران النفس لعزم الانتقام وإذا أُسند إلى الله عزّ وجلّ أُريد منه النهاية كما ذكر في الرحمن.

و«الضلال» عبارة عن العدول عن صراط المستقيم.

ومن علماء المفسّرين من قال: إنّ المقصود من «المغضوب عليهم» هم اليهود[٣٥٢] لدلالة قوله عزّ وجلّ: **(قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكمْ بشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ...)**[٣٥٣]. وعلى ذلك

---

٣٤٨ . والشاهد في «يَسُبني» يمكن أن تكون صفةً للئيم بأنّه جار مجرى العهد الذهني ولم يقصد منه معهوداً بل يقصد الإبهام وإلاّ يكون حالا من اللئيم.

٣٤٩ . انظر: التبيان للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٤.

٣٥٠ . انظر: المصدر السابق.

٣٥١ . انظر: المصدر السابق.

٣٥٢ . قال الطوسي في التبيان (ج ١، ص ٤٥): والمغضوب عليهم هم اليهود عند جميع المفسّرين الخاصّ والعامّ ... ولا الضالّين هم النصارى.

٣٥٣ . المائدة (٥)، الآية ٦٠.

ومن «الضالّين» هم النّصارى; لقوله عزّ شأنه: **(قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ)**[٣٥٤].

ومنهم من قال: إنّ المراد بالمغضوب من أنكر أُصول الدين وبالضالّين من كان منكراً لفروعه[٣٥٥].

بل إنّ كلّ من كفر بالله ورسوله أو غلا بأمير المؤمنين أو بواحد من الأنبياء والأولياء كغلو النَّصارى بعيسى بن مريم أو جَحَد بإمامة أحد من الأئمّة الهدى فهو من المغضوب عليهم والضالّين عن السبيل السواء، وكذلك كلّ من كان طالباً للرئاسة الباطلة وجيفة الدنيا الدَنيّة وكذلك الذين يُحلُّون ما حرَّم الله ويُحرِّمون ما أحلّ الله، بل يغيّرون أحكام الله لهوى أنفسهم، واتّخذوا الطاغوت رئيساً وأطاعوه واتّبعوا متشابهاتِ الأحكام والكلام، هم من الجُهّال والكُفّار وأرذل الأنام بل كالأنعام فأخبَروا عمّا لا يعلمون، فأبَوا أن يعترفوا بأنّهم لا يَفقهون فعارَضُوا في الدّين بآرائهم وأفتوا بغير ما أنزل الله فأُولئك مِنَ الّذين غضب الله عليهم ولَعَنَهم وأعدّ لهم عذاباً شديداً.

اعلم أنّ عدوله سبحانه وتقدّس عن إسناد الغضب إلى ذاته جلّ شأنه ولا إله غيره مع أنّه عزّ وجلّ صرّح في إسناد عديله، أعني: الرحمة إلى نفسه عَزَّ سلطانه، إنّما هو للإشعار بأنّ الصادر عنه هو العفو والرحمة والإنعام والجود والفضل والإكرام لا غير وأنّ الغضب صادر عن غيره سبحانه وتعالى، وإلاّ لكان الأنسب بعد قوله عزّ وجلّ وعلا، ٠صراط الذين أنعمت عليهم» أن يقول: «غير الذين غضبتَ عليهم» وعلى هذا الطريق من التصريح في جانب الرحمة والتعريض في جانب العقاب والعذاب، جرى قوله عزّ وجلّ **(... لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ)**[٣٥٦]حيث لم يقل: لأُعذّبنّكم مع أنّه مقتضى المقابلة وكذلك أغلب الآيات المشتملة لذكر العفو والعذاب كما في قوله تعالى: **(... يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً)**[٣٥٧] فإنّ ظاهر المقابلة كان مقتضياً بأن يقال «وكان الله غفوراً معذّباً» فَعَدِلَ سبحانه ـ الذي تقدّستْ أسماؤُه وتظاهرت آلاؤه ـ عن ذلك إلى تكرير الرحمة ترجيحاً لجانبها وجانب الجود والإحسان والعفو والرضوان.

تتميم

اعلم أنّه لمّا فرغنا من تسويد تركيب الفاتحة وتفسيرها تفصيلا شَرَعنا في ذكر ما يدلّ على جزائها وأجرها وتفسيرها إجمالا حذراً عن حصول الملال وتسهيلا للضبط وهو أنّه قال أبو محمّد

---

٣٥٤ . المائدة (٥)، الآية ٧٧.

٣٥٥ . لم أعثر على قائله في التفاسير المشهورة.

٣٥٦ . إبراهيم (١٤)، الآية ٧.

٣٥٧ . الفتح (٤٨)، الآية ١٤.

الحسن الإمام (عليه السلام)، عن آبائه وأجداده، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه لمّا فرغ من تفسير الفاتحة قال:

«هذه أعطاها الله تعالى محمّداً (صلى الله عليه وآله) وأُمّته بَدَأ فيها بالحمد والثناء عليه ثمّ ثنّى عليه بالدعاء لله عزّ وجلّ، ولقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: قال الله تعالى: قسَّمتُ الحمدَ بيني وبين عبادي[٣٥٨] نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل إذا قال العبد: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله عزّ شأنه: بَدَأ عبدي باسمي حَقٌّ علىَّ أن أتمِمَّ له أمورَه وأبارك له في أحواله، فإذا قال: «الحمد لله ربّ العالمين» قال الله عزّ وجلّ: حَمَدَني عبدي وعلم أنّ النِّعَم التي له من عندي وأنّ البلايا التي اندفعتْ عنه فَبتَطوُّلي، أُشهدكم يا ملائكتي، أنّي أُضيف له نِعَم الدنيا إلى نعيم الآخرة وأدفع عنه بلاء الآخرة كما دفعت عنه بلاء الدنيا، فإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله عزّ وجلّ: شهد بي[٣٥٩] عبدي بأنّي الرحمن الرحيم، أُشهدكم لأُوَفِّرَنَّ من رحمتي حظَّه ولأجزِلَنَّ[٣٦٠] من عطائي نصيبه، فإذا قال: «مالك يوم الدين» قال الله سبحانه وتعالى: أُشهدكم كما اعترف بأنّي أنا المالك يوم الدين لأُسهِّلَنَّ يوم الحساب عليه حسابه ولأتقبّلنَّ حسناته ولأتجاوَزَنَّ عن سيّئاتِه، فإذا قال العبد: «إيّاك نعبد» قال الله عزّ وجلّ: صدق عبدي إيّاي يعبد، أُشهدكم لأُثيبنَّه على عبادته ثواباً يَغبطه كلُّ من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: «إيّاك نستعين» قال الله عزّ وجلّ: استعان عبدي وإلىَّ ألتجأ، أُشهدكم لأُعينَنَّه على أمره ولأُغيثَنَّه في شدائده وَلآخُذَنَّ بيده عند نوائبه، فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم» إلى آخرها قال الله عزّ وجلّ: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل قد استَجَبْتُ له[٣٦١] وأعطيتُه ما أمَّلَ وآمنتُه ممّا منه وَجِلَ»[٣٦٢].

الحمد لله الذي وفّق وأعان مؤلّفه الحقير كثير التقصير لإتمام هذه الوجيزة والفريدة العزيزة في يوم الأحد من العشر الثالث من الشهر التاسع من السنة الرابعة من العشر الرابع من المائة الثالثة من الألف الثاني من الهجرة المصطفوية على مهاجرها آلاف ألف سلام والثناء والتحيّة من خالق البرية والصلاة على رسوله أشرف الأنبياء والمرسلين وعترته الطيّبين الطاهرين أوّلا وآخراً وظاهراً وباطناً.

---

٣٥٨ . في المصدر: عبدي.

٣٥٩ . في المصدر: لي.

٣٦٠ . الجزيل: العظيم وعطاء جزيل وجَزل والجمع: الجزال، وأجزلت من العطاء أي: أكثرت. «منه»

٣٦١ . في المصدر: لعبدي.

٣٦٢ . التفسير [المنسوب إلى] الإمام العسكري (صلى الله عليه وآله)، ص ٥٨ و٥٩.

تمام شد این تحفة الفریدة بفرموده نور العیونی عزیز گرامی آقا محمّد تقی «قلم اینجا رسید سر بشکست».